ذكرى العاقل

للامير عبد القادر الجزائري

يرجى بعد الفراغ من قراءتها ارجاعها الى صاحبها
وانا خادم الفقرا واهل
العلم والادب

عبد القادر

١ نسب المؤلف واجداده الى محمد صلى الله عليه وسلم والباعث لهذه الرسالة
٢ المقدمة فى مدح النظر وذم التقليد
٤ الاسباب المانعة للقلب من ادراك الحق
٦ الباب الاول فى فضل العلم والعلماء
١١ تعريف العقل اي فصل فى تعريف العقل
١٥ تكملة فى بيان القوى الاربع التى اذا اعتدلت فى الانسان يكون انسانا
١٧ تنبيه على ان النفس انما دخلت هذا العالم لاكتساب العلم والعمل
٢٢ خاتمة فى انقسام العلم الى محمود ومذموم
٢٧ الباب الثانى فى اثبات العلم الشرعى وانقسام العلم الى عقلى وشرعى
٣٢ فصل فى اثبات النبوة واحتياج الناس كلهم الى علوم الشرع اساس الديانات واصولها وحكمة نسخ الاديان
٣٦ تنبيه فى كيفية معرفة النبى فهو قبل اساس الديانات
٤٢ خاتمة فى المكذبين للانبياء وغرورهم
٤٤ الباب الثالث فى فضل الكتابة وشرفها
٤٧ فصل فى كتابات الامم اهل المشرق والمغرب
٥١ تنبيه فى حروف الكتابة العربية
٥٣ خاتمة فى انكار بعض الناس للتاليف والتصنيف الان
دخول علوم الفلاسفة الى بلد الاسلام
٥٨ خاتمة الرسالة فى انقسام الناس بحسب العلوم والمعارف
٥٩ علوم اهل الهند والشطرنج وواضعه وحكمته
٦٠ علوم الفرس

علوم

٦٢ علوم اليونانيين
٦٣ علوم الروم
٦٤ علوم الفرنج
٦٦ علوم العرب
٦٩ علوم العبرانيون
٦٩ علوم اهل مصر
٦٩ السبب في اختلاف العقول وبه يختم الرسالة

---

٧١ خطبة الامام على رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه
٧٤ قصيدة الامير المجاهد في سبيل الله سيدى عبد القادر محي الدين المغربي صاحب هذا التاليف
٨٣ قصيدة الهمزيه الوبائية للامام البوصيري رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه يقول عبد
القادر بن محي الدين بن المصطفى بن محمد بن المختار بن عبد
القادر بن احمد بن عبد القادر بن احمد بن محمد بن عبد
القوي بن على ابن احمد بن عبد القوي بن خالد بن
يوسف بن احمد بن بشار محمد بن مسعود بن طاووس بن
يعقوب بن عبد القوي بن احمد بن محمد بن محمد ابن ادريس
ابن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن
الحسن سبط الرسول بن على بن ابي طالب بن عبد المطلب
ابن هاشم وام الحسن فاطمة بنت رسول الله بن عبد الله
ابن عبد المطلب بن هاشم الحمد لله رب العالمين ورضى
الله تعالى عن العالمين اما بعد فانه بلغني ان علماء
بريز، وفقهم العليم الحكيم العزيز، كتبوا اسمي في دفتر العلماء
ونظموني في سلك العظماء، فاهتززت لذلك فرحا، ثم
اغتممت ترحا، فرحت من حيث ستر الله علي، حتى نظر
عباده بحسن الظن الي، واغتممت من كون العلماء استسمنوا
ذا ورم، ونفخوا في غير ضرم، ثم اشار علي بعض المحبين
منهم بارسال بعض الرسائل اليهم، فكتبت هذه العجالة،
للتشبه بالعلماء الاعلام، ورميت سهمي بين السهام، فتشبهوا
ان لم تكونوا منهم، ان التشبه بالكرام رباح، وسميت
هذه الرسالة ذكرى العاقل، وتنبيه الغافل، ورتبتها

على

على مقدمة وثلاثة ابواب وخاتمة وفي كل باب فصل وتنبيه
وخاتمة اما المقدمة ففي الحث على النظر وذم التقليد واما
الباب الاول ففي فضل العلم والعلماء وفيه فصل في تعريف
العقل الذي به ادراك العلوم وتكملة في القوى الاربع التي
اذا اعتدلت في الانسان يكون انسانا كاملا وتنبيه في
فضل ادراك العقل على ادراك الحواس وفضل مدركات
العقل على مدركات الحواس وخاتمة في انقسام العلم الى محمود
ومذموم واما الباب الثاني ففي العلم الشرعي وفيه فصل
في اثبات النبوة التي هي منبع العلوم الشرعية وفيه تنبيه
في معرفة النبي ومايتعلق بالنبوة وخاتمة في المكذبين للانبياء
واما الباب الثالث ففي فضل الكتابة وفيه فصل في الكلام
على كتابات الامم ومن وضعها وما يجر الى ذلك وتنبيه
في بيان حروف الكتابة العربية وخاتمة في احتياج الناس الى
التصنيف ومايتعلق به المقدمة اعلموا انه يلزم العاقل
ان ينظر في القول ولا ينظر الى قائله فان كان القول حقا قبله
سواء كان قائله معروفا بالحق او الباطل فان الذهب يستخرج
من التراب والنرجس من البصل والترياق من الحيات ويجتنى
الورد من الشوك فالعاقل يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق
بالرجال والكلمة من الحكمة ضالة العاقل ياخذها من
عند كل من وجدها عنده سواء كان حقيرا او جليلا واقل
درجات العالم ان يتميز عن العامي بامور منها انه لا يعاف
العسل اذا وجده في محجمة الحجام ويعرف ان الدم قذر لا
لكونه في المحجمة ولكنه قذر في ذاته فاذا عدمت هذه
الصفة في العسل فكونه في ضرب الدم المستقذر لا يكسبه
تلك الصفة ولا يوجب نفرة عنه وهذا وهم باطل لبس

على اكثر الناس فمهما نسب كلام الى قايل حسن اعتقادهم فيه
قبلوه وان كان القول باطلا وان نسب القول الى من
ساء فيه اعتقادهم ردوه وان كان حقا ودايما يعرفون
الحق بالرجال ولا يعرفون الرجال بالحق وهذا غاية الجهل
والخسران فالمحتاج الى الترياق اذا هربت نفسه منه حيث
علم انه مستخرج من حية جاهل فيلزم تنبيهه على ان نفرته
جهل محض وهو سبب حرمانه من الفائدة التى هى مطلوبه
فان العالم هو الذى يسهل عليه ادراك الفرق بين الصدق
والكذب فى الاقوال وبين الحق والباطل فى الاعتقادات وبين
الجميل والقبيح فى الافعال لا بان يكون متلبسا عليه الحق بالباطل
والكذب بالصدق والجميل بالقبيح ويصير يتبع غيره ويقلده
فيما يعتقد وفيما يقول فان هذه ماهى الا صفات الجهال
والمتبوعون من الناس على قسمين قسم عالم مسعد لنفسه
ومسعد لغيره وهو الذى عرف الحق بالدليل لا بالتقليد ودعى
الناس الى معرفة الحق بالدليل لا بان يقلدوه وقسم مهلك
لنفسه ومهلك لغيره وهو الذى قلد اباءه واجداده فيما
يعتقدون ويستحسنون وترك النظر بعقله ودعى
الناس لتقليده والاعمى لا يصلح ان يوقد العميان واذا
كان تقليد الرجال مذموما غير مرضى فى الاعتقادات
فتقليد الكتب مذموم اولى واحرى وان بهيمة توقد افضل
من مقلد ينقاد وان اقوال العلماء والمتدينين متضادة متخالفة
فى الاكثر واختيار واحد منها واتباعه بلا دليل باطل لانه
ترجيح بلا مرجح فيكون معارضا بمثله وكل انسان من حيث
هو انسان فهو مستعد لادراك الحقايق على ماهى عليه
لان القلب الذى هو محل العلم بالاضافة الى حقايق الاشياء

كالمرآت

كالمرآت بالاضافة الى صور المتلونات تظهر فيها كلها على
التعاقب لاكن المرات قد لاتنكشف فيها الصور لاسباب
احدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور ويشكل
ويصقل والثانى لخبثه وصداه وان كان تام الشكل والثالث
لكونه غير مقابل للجهة التى فيها الصورة كما اذا كانت الصورة
وراء المرات والصورة والخامس للجهل بالجهة التى فيها
الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه ان يحاذى به الصورة
وجهتها فكذالك القلب مرات مستعدة لان يجلى فيها
صور المعلومات كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التى
خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة اولها نقصان فى ذات
القلب كقلب الصبى فانه لاتنجلى له المعلومات لنقصانه
والثانى لكدرات الاشتغال الدنياويه والخبث الذى يتراكم
على وجه القلب منها فالاقبال على طلب كشف حقايق
الاشياء والاعراض عن الاشياء الشاغلة القاطعة هو الذى
يجلى القلب ويصفيه والثالث ان يكون معدولا به
عن جهة الحقيقة المطلوبة والرابع الحجاب فان العقل
المتجرد للفكر فى حقيقة من الحقايق ربما لاتنكشف له لكونه
محجوبا باعتقاد سبق الى القلب وقت الصبا على طريق التقليد
والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بين القلب والوصول
الى الحق ويمنع ان ينكشف فى القلب غير ماتلقاه بالتقليد وهذا
حجاب عظيم حجب اكثر الخلق عن الوصول الى الحق لانهم
محجوبون باعتقادات تقليدية رسخت فى نفوسهم وجمدت
عليها قلوبهم والخامس الجهل بالجهة التى يقع فيها العثور
على المطلوب فان الطالب لشيئ ليس يمكنه ان يحصله
الا بالتذكر للعلوم التى تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها

والرابع لحجاب مرسل بين المرات صح

ورتبها في نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء فعند ذلك
يكون قد صادق جهة المطلوب فتظهر حقيقة المطلوب
لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تصاد الا
بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل الا عن علمين سابقين
يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من
ازدواجهما علم ثالث على مثال حصول النتاج من ازدواج
الفحل والانثى ثم كما ان من اراد ان يستنتج فرسا لم
يمكنه ذلك من حمار وبعير بل من اصل مخصوص من
الخيل الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص
فكذلك كل علم فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق مخصوص
في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المطلوب فالجهل بتلك
الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله
ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله ان
يريد الانسان ان يرى قفاه مثلا بالمرات فانه اذا رفع
المرات قباله وجهه لم يكن حاذى بها جهة القفا فلا
يظهر فيها القفا وان رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد
عدل بالمرات عن عينيه فلا يرى المرات ولا صورة القفا
فيها فيحتاج الى مرات اخرى ينصبها وراء القفا وهذه
المرات في مقابلتها بحيث يريها ويراعي مناسبة بين وضع
المراتين حتى تنطبع صورة القفا في المرات المحاذية للقفا
ثم تنطبع صورة هذه المرات مع ما فيها من صورة القفا
في المرات الاخرى التي في مقابلة العين ثم تدرك العين
صورة القفا فكذلك في اصطياد العلوم وطلب ادراك
الاشياء طرق عجيبة فيها انحرافات عن المطلوب اعجب
مما ذكرناه في المرات فهذه هي الاسباب المانعة للقلوب

من

من معرفة الحقايق والا فكل قلب بالفطرة الالهية صالح لادراك
الحقايق وكما ان الشيئ يكون حاضرا بين يدى الانسان واذا
لم يحرك حدقته من جانب الى جانب تحريكات كثيرة لم
ير ذلك الشيئ فكذلك العقل ما لم يتحرك من معقول الى
معقول لم يدرك الشيئ على حقيقته وتلك التحريكات
المسمات بالفكر ونظر العقل وكما ان العين الباصرة لايمكنها
ادراك الاشياء الا عند طلوع النيرات كالشمس ونحوها
فكذلك العقل لا يقدر على ادراك الحقايق دون خطا
الا اذا طلعت عليه انوار التوفيق والهداية من الله تعالى
الباب الاول فى فضل العلم والعلماء اعلموا ان الانسان
من حيث حصوله فى الحيز والمكان فجسم كساير الاجسام ومن
حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار
فحيوان ومن حيث صورته وقامه فكالصورة المنقوشة على
الحايط وكما ان الفرس يشارك الحمار فى قوة الحمل ويختص عنه
بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل
تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى مرتبة الحمار فكذلك
الانسان يشارك الجمادات والحيوانات فى امور ويفارقها
فى امور هى خاصيته وبها شرفه فما حصل له الشرف بعظم
شخصه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان الاسد اشجع
منه ولا لاكله فان الجمل اوسع منه بطنا ولا لجماعه فان اخس
العصافير اقوى منه جماعا وانما شرف الانسان وخاصيته
التى يتميز بها عن جميع الموجودات هى العلم وبها كماله اذ كمال
كل شيئ انما يكون بظهور خاصيته التى امتاز بها عن غيره
ونقصانه هو خفاء تلك الخاصية فبقدر ظهور تلك الخاصية
يطلق عليه اسم الكامل وبحسب سترها فيه يخص باسم

الناقص مثلا الخاصية التي امتاز بها الفرس هي الحقيقة الفرسية
ان يكون شديد العدو ومعتدل القوايم في الطول والقصر مدركا
لاشارات الراكب من ارادة الكر والفر والهملجة والحضر
والتقريب فاذا ظهرت هذه الخاصية قيل فرس كامل ثم
الاعزاز والاهانة تابعان للكمال والنقصان وخاصية
الانسان هي معرفة حقايق الاشياء على الوجه الذي هي
عليه بحيث يرتفع عن بصيرته حجاب الشك ويتيقن
حقايقها منكشفة له وبكمال هذه الخاصية ونقصانها يفضل
بعض افراد الانسان بعضنا الى ان يعد واحد بالف ولم ار امثال
الرجال تفاوتت الى المجد حتى عد الف بواحد وقوله والناس
الف منهم كواحد وواحد كالالف ان امر عنا ولا شي اقبح
من الانسان مع ما فضله الله به من القدرة على تحصيل
الكمال بالعلم ان يهمل نفسه ويعريها من هذه الفضيله ولم
ار في عيوب الناس شيا كنقص القادرين على الكمال ولما
كان العلم هو كمال الانسان كان كل انسان محبا للعلم بالطبع
ويشتهيه ويفرح اذا انسب الى العلم ولو قليلا ولو يعلم ان
الذي وصفه بالعلم كاذب ويحزن اذا دفع عن رتبة العلم
ويلتذ الانسان بالعلم لذاته ولكماله لا لمعنى اخر وراء الكمال
ولا يخفى عن اهل العلم انه لا لذة فوق لذته لانها لذة روحانية
وهي اللذة الخالصة من جميع الشوايب المكدرات واما اللذة
الجسمانية فهي عند التحقيق دفع الم اذ لذة الاكل دفع الم الجوع
ولذة الجماع دفع الم امتلاء اوعية المني به بخلاف اللذة الروحانية
فانها الذ واشهى ولهذا كان بعض العلماء يقول عندما تنحل له
مشكلات العلوم اين الملوك وابناء الملوك من هذه اللذة ومن
المعلوم ان اللذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصه

بها

٨

بها ومشاركته لغيره ثلاثة انواع عقلية وجسمانية مشتركة مع
بعض الحيوانات وجسمانية مشتركة مع جميع الحيوانات اما العقلية
فالعلم بحقايق الاشياء اذ ليس يستلذ بها السمع والبصر والشم
والذوق ولا البطن وانما يستلذ بها القلب لاختصاصه بصفة
يعبر عنها بالعقل وهذه اللذة اقل اللذات وجودًا وهي اشرف اللذات
اما قلتها فلان العلم لا يستلذ به الا العالم وما اقل اهل العلم والحكمة
وما اكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسمهم واما شرفها فلانها
لازمة لا تزول ابدا لا في الدنيا ولا في الاخرة ولا تمل والطعام يشبع
منه فيمل وشهوة النكاح يفرغ منها فتستثقل والعلم والحكمة
لا يتصور قط ان تمل وتستثقل والمال يسرق او يحرق والولاية
يعزل عنها والعلم لا تمتد اليه ايدي السراق بالاخذ ولا ايدي
السلاطين بالعزل فيكون صاحبه في روح الامن ابدا واما
قصور اكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فلفساد امزجتهم ومرض
قلوبهم لاشتغالهم باتباع الشهوات واستلائها على عقولهم
فان القلب اذا كان صحيحا لا يستلذ الا بالعلم فاذا كان مريضا
بسوء العادات استلذ بغيره كما يستلذ بعض الناس اكل الطين
وكالمريض الذى لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرا ومن يك ذا
فم من مريض يرا مرا به الماء الزلالا واما القصور فطنتهم اذ لم
تخلق لهم الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي
لا يدرك لذة الطيور السمان ولا لذة العسل ولا يطلب الا اللبن
الثانية لذة يشارك الانسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرياسة
والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض
الحيوانات الثالثة لذة يشارك الانسان بها جميع الحيوانات
كلذة البطن والفرج وهذه اكثر اللذات وجودا وهي اخسها
ولذلك اشترك فيها كل ما دب وتحرك حتى الديدان

والحشرات ولاجل اللذة والكمال الذى فى العلم صار للانسان ميل
طبيعى الى العلم غالبا لكن من الناس من ساعده فهمه ومنهم
من لم يساعده واما عدم الميل الى العلم فلامر عارض كفساد
الطبع او بعد المكان عن الاعتدال والمقصود من هذا معرفة
فضيلة العلم ونفاسته ومالم تفهم الفضيلة فى نفسها لم يمكن
ان يعلم وجودها صفة للعلم او لغيره من الخصال فلقد غلط من
طمع ان يعلم ان فلانا حكيما وهو لم يعرف معنى الحكمة وحقيقتها
فالفضيلة ماخوذة من الفضل وهو الزيادة فاذا تشارك
شيئان فى صفة واختص احدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل
عليه فهما كانت زيادة فيما هو كمال ذلك الشيئ كما يقال ان
الفرس افضل من الحمار بمعنى انه يشاركه فى قوة الحمل ويزيد
عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض
حمار اختص بسلعة زائدة فى ظهره لم يقل انه افضل لان السلعة
زيادة فى الجسم ونقصان فى المعنى وليست من الكمال والحيوان
مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه فاذا فهمتم هذا لم يخف
عليكم ان العلم فضيلة ان اخذتموه بالاضافة الى جميع الحيوانات
اخذتموه بغير اضافة فانه فضيلة وكمال على الاطلاق وبه
شرف العلماء والحكماء وهو المرغوب فيه المطلوب لذاته
لا لغيره وغير خاف عليكم ان الشيئ المرغوب فيه ينقسم الى
مايطلب ويرغب فيه لغيره والى مايطلب لذاته ولغيره جميعا
والذى يطلب لذاته اشرف وافضل والمطلوب لغيره الدراهم
والدنانير فانهما لا منفعة لهما ولولا ان الله سهل قضاء
الحوايج بهما لكانا والحجر بمنزلة واحدة لانهما لايدفعان
جوعا ولا بردا ولا حرا بانفسهما واما الذى يطلب لذاته
فالعلم فانه لذيذ فى ذاته واما الذى يطلب لذاته ولغيره فكسلامة

البدن

حجران

البدن فان سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث انها سلامة
البدن عن الالم ومطلوبة للمشى بها والتوصل الى الحاجات
ومن دلايل شرف العلم ولوازمه احترام العالم فى الطباع
حتى ان اغبياء الترك واجلاف العرب يصادفون طباعهم
مجبولة على توقير شيوخهم لاختصاصهم بعلم زايد مستفاد
من علم التجارب والبهايم بطباعها توقر الانسان لشعورها
بتمييز الانسان بكمال مجاوز لدرجاتها واذا ثبت فضيلة العلم
كان تعلمه افضل وبيانه ان مقاصد الخلق مجموعة فى انتظام
الدين والدنيا ولا انتظام للدين الا بانتظام الدنيا وليس ينتظم
امر الدنيا الا باعمال الادميين واعمالهم وصناعاتهم وحرفهم
تنحصر فى ثلاثة اقسام احدها اصول لا قوام الدنيا الا بها
وهى اربعة الزراعة وهى للمطعم والحياكة وهى للملبس والبناء
وهو للمسكن والسياسة وهى للتالف والاجتماع والتعاون
على اسباب المعيشة القسم الثانى ما هى مهياة لكل واحدة من
هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة
وجملة من الصناعات باعداد الاتها وكالحلاجة والغزل فانها
تخدم الحياكة باعداد عملها القسم الثالث ما هى متممة للاصو ل
كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك
بالاضافة الى قوام امر العالم الارضى مثل اجزاء الشخص بالاضافة
الى جملته فانها ثلاثة اقسام اما اصول كالقلب والكبد والدماغ
واما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والاعصاب
والاوردة واما مكملة لها ومزينة كالاظفار والحاجبين واشرف
الصناعات اصولها واشرف اصولها السياسة ولذلك تستدعى
هذه الصناعة من الكمال فيما يتكفل بها ما لا تطلبه سائر الصنا عات
فلذلك يستخدم صاحب هذه الصناعة جميع اصحاب الصناعات

والسياسة على مرتبتين سياسة الملوك والسلاطين وتصرفهم
في الخاصة والعامة ولكن في ظواهرهم فقط لا في بواطنهم والثانية
العلماء وتصرفهم في بواطن الخاصة ولا تنتهي قوتهم الى التصرف
في ظواهرهم بالالزام والقهر وشرف العلوم والصناعات
يدرك بثلاثة امور اما بالالتفات الى الالة التي يتوصل بها الى
معرفتها كفضل العلوم العقلية على العلوم اللغوية اذ تدرك
الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل اشرف من السمع واما
بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما بالنظر
الى المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة اذ محل
احدهما الذهب ومحل الاخر جلد الحيوانات الميتة وغير خاف
ان العلم متصرف في قلوب الناس المتعلمين ويدرك شرف
العلم مطلقا من حيث هو علم بشيئين احدهما شرف الثمرة
والثاني قوة الدليل وذلك كعلم الاحكام الدينية الشرعية وعلم
الطب فان ثمرة علم الدين السلامة في الدار الاخرة وهي الحيوة
الابدية وثمرة الطب السلامة في الدنيا وهي سلامة بدنية
منقطعة فيكون علم الدين اشرف لانه سبب لسلامة ابدية
لا تنقطع الثاني كعلم الحساب وعلم النجم فان علم الحساب
اشرف لوثاقة ادلته وقوتها واذا نسب الحساب الى الطب
كان الطب اشرف باعتبار ثمرته والحساب اشرف باعتبار
قوة ادلته وصحتها وملاحظة الثمرة اولى ولذلك كان الطب
اشرف وان كان اكثر الطب بالظن فصل في تعريف
العقل اعلموا ان العقل منبع العلم واساسه ومطلعه والعلم
يجري من العقل مجرى الثمر من الشجر والنور من الشمس والرؤية
من العين وكيف يخفى فضل العقل واعظم البهائم بدنا واشد
هم ضراوة واقواهم سطوة اذا راى صورة الانسان هابه

لشعوره

لشعوره بفضله عليه واستيلائه بسبب ما خص به من ادراك
الحيل واسم العقل يطلق على اربع معان بالاشتراك الاول الوصف
الذى يفارق الانسان به جميع البهائم وهو الذى استعد به
الانسان لقبول العلوم النظرية الثانى هى العلوم التى تخرج
الى الوجود فى ذات الطفل المميز بجوز الجايزات واستحالة
المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان الشخص
الواحد لايكون فى مكانين فى ان واحد وتسمية هذه العلوم
عقلا ظاهر فلا تنكر الثالث علوم تستفاد من التجارب بمجارى
الاحوال فان من جرب الامور وهذبه تخالف الاحوال يقال
انه عاقل فى العادة ومن لا ينصف به يقال انه غبى جاهل
وهذا نوع اخر من العلم يسمى عقلا الرابع ان تنتهى قوة تلك
الغريزة الى ان يعرف الانسان عواقب الامور ويقمع الشهوة
الداعية الى تناول اللذة المضرة ويقهرها فاذا حصلت هذه
القوة يسمى صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه وتاخره بحسب
ما يقتضيه النظر فى العواقب وهذه المعانى الاربعة كلها من
خواص الانسان ولفظ العقل موضوع فى الحقيقة لتلك
الغريزة واطلاقه على العلوم مجاز من حيث انها ثمرتها
وهذه العلوم كانها متضمنة فى تلك الغريزة بالخلقة ولا
تظهر الى الوجود الا اذا جرى سبب يخرجها حتى
كان هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج
وكانها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء فى الارض
فانه يظهر بالحفر ويجتمع ويتميز بالحس لا بان يساق
اليه شيء جديد وكذلك الدهن فى اللوز وماء الورد
فى الورد فكل ادمى خلق مجبولا على معرفة الاشياء على ما هى
عليه اعنى انها كالمتضمنة فيه لقرب استعداده للادراك

ثم لما كانت معرفة الاشياء مركوزة فى النفوس بالخلقة انقسم
الناس الى من اعرض فنسى ولهم الجهال والى من اجال
خاطره فتذكر ولهم العلماء فكان هذا القسم كمن حمل شهادة
فنسيها بسبب الغفلة ثم تذكرها وحصول هذه العلوم
للانسان لها درجتان احديهما ان يشتمل قلبه على العلوم
الضرورية الظاهرية فتكون العلوم النظرية فيه غير
حاصلة الا انها صارت قريبة الحصول ويكون حاله بالاضافة
الى العلوم كحال الكاتب الذى لا يعرف من الكتابة الا الدوات
والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة
ولم يبلغها الثانية ان تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب
والفكر فتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله حال
الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة
لقدرته عليها وفى هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت
العلماء فيها بقلة المعلومات وكثرتها وشرف المعلومات
وخستها واعلموا ان العقول متفاوتة بحسب خلقة الله
تعالى التى خلق الناس عليها فعقول الانبياء ليست كعقول
ساير الناس وعقل ابى على بن سينا فايق على كثير
من العقول يحكى ان الرازى قال يوما للامدى لم حسن اهلاك
الحيوانات وذبحها للانسان فقال له الامدى اهلاك المفضول
لمصلحة الفاضل هو عين العدل فقال له الرازى اذا يحسن
ذبحك انت لابى على ابن سينا والتفاوت حاصل فى الاقسام
التى يطلق عليها اسم العقل الا العلم بالضروريات فانه
لا يحصل فيه تفاوت بين العقلاء وكل من يدركه يدرك
ادراكا محققا من غير شك واما قسم علم التجارب فتفاوت
الناس فيه لا ينكر فانهم متفاوتون بكثرة اصابة الراى وسرعة

الادراك

الادراك ويكون سببه اما تفاوت في الغريزة واما تفاوت
في ممارسة الامور واما قسم استيلاء القوة العقلية على قمع
الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه ويكون سببه التفاوت
في العلم المعرف بضرر تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على
الاحتماء عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر على ذلك
من يساويه في العقل اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد فيه
مضرة على الجملة ولكن لما كان علم الطبيب اتم كان خوفه اشد
فيكون الخوف معينا للعقل على قمع الشهوات المضرة واما
قسم الغريزة التي قلنا انه الاصل فالتفاوت فيه لا طريق
الى جحده فانه مثل نور يشرق على الانسان ويطلع صبحه
ومبادي اشراقه عند سن التمييز وهو تمام الاسبوع الاول
اعني سبع سنين ثم لا يزال ينمو ويزداد على التدريج الى ان
يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان
اوائله تخفى خفاء يشق ادراكه ثم يتدرج الى الزيادة الى ان يكمل
بطلوع قرص الشمس وعادة الله جارية في جميع مخلوقاته
بالتدريج وكيف ينكر تفاوت الناس في الغريزة ولولا تفاوتها
لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم
بالتفهيم الا بعد تعب طويل من المعلم والى ذكي يفهم باقل
اشارة والى كامل يدرك حقايق الاشياء دون تعليم فانقسام
الناس الى من يتنبه من نفسه ويفهم والى من لا يفهم الا
بتنبيه وتعليم والى من لا ينفعه التعليم ولا يفيده التنبيه
كانقسام الارض الى ما يجتمع فيه الماء ويقوى فيتفجر بنفسه
عيونا والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج الماء في الابار والى ما لا ينفع
فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الارض
في صفاتها فكذلك هذا الاختلاف في النفوس في غريزة العقل

والسبب الظاهر بحسب العادة التي اجراها الله باختياره وبما
دل عليه الاستقراء في اختلاف الناس في عقولهم واخلاقهم
وسيرهم احوال الشمس في الحركة فان الناس على ثلاثة
اقسام احدها الذين يسكنون تحت خط الاستواء الى ما يقرب
من المواضع التي يحاذيها ممر راس السرطان واسمهم
العام السودان ولاجل ان الشمس تمر على رؤسهم امامرة او مرتين
في السنة صارت ابدانهم وشعورهم سوداء وهو اضعف الناس
عقلا واوحشهم اخلاقا واما الذين مساكنهم اقرب الى محاذات
ممر راس السرطان فعقولهم اكمل من الذين قبلهم والسواد
فيهم اقل وطبايعهم معتدلة واخلاقهم مؤنسة واجسامهم
نضيفة وهم اهل الهند واليمن وبعض المغاربة وكل العرب واما
القسم الثاني من اهل الارض فهم الذين مساكنهم على راس
ممر السرطان الى محاذات بنات نعش وهم سكان وسط هذه
المعمورة وهو المسمى بايران شهر كاهل العراق والشام
وخراسان واصبهان فهم اكمل الناس عقلا والطفهم اذهانا
وهم مختلفون في الكمال ويليهم في الكمال سكان فرانس فانهم
وسط الاقليم الخامس ويليهم في الكمال اهل الاندلس فان
بلادهم اخذت من الاقليم الخامس والسادس واما القسم
الثالث من سكان الارض فهم الذين مساكنهم محاذية لبنات
نعش وهم الروس والصقالبة فعقولهم ناقصة واخلاقهم
وحشية وطبايعهم باردة لكثرة بعدهم عن حر الشمس صار البرد
عليهم اغلب والرطوبات اكثر لانه ليس هناك ما ينشفها
وينضجها فلذلك صارت الوانهم بيضاء وشعورهم شقراء
سبطة وابدانهم عظيمة رخوة **تكملة** قوة العقل هي احدى
القوى الاربع التي اذا اعتدلت في الانسان يكون انسانا كاملا

وهي

وهى قوة العقل وقوة الشجاعة وقوة العفة وقوة العدل فقوة
العقل هى حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطا فى جميع الاحوال
والعدل حالة للنفس بها يسوس الغضب والشهوة ويحملها على
مقتضى العقل فى الاسترسال والانقباض والشجاعة كون قوة
الغضب منقادة للعقل فى اقدامها واحجامها والعفة تادب
قوة الشهوة بتاديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه القوى
الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها فمن اعتدال قوة العقل
يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الراى واصابة
الظن والتفطن لدقايق الامور ومن افراطها المذموم تحصل
الصفات المذمومة والاخلاق القبيحة مثل المكر والحقد والخداع
والدها والحيلة ومن تفريطها المذموم ايضا تصدر الصفات
المذمومة مثل البلة والغباوة والغمارة والحمق والجنون واعنى
بالغمارة قلة التجربة فى الامور مع سلامة التخيل والجنون عبارة
عن اختلال القوة العقلية المميزة بين الامور الحسنة والقبيحة
المدركة للعواقب بان لا يظهر اثرها او تتعطل افعالها اما بسبب
نقصان خلق عليه واما بسبب خلط او افة والفرق بين الحمق
والجنون ان الحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق
فاسد فلا تكون له روية صحيحة فى سلوك الطريق الموصل
الى الغرض واما الجنون فانه يختار ما لا ينبغى ان يختار فيكون
اصل اختياره فاسد واما الشجاعة فيصدر عنها الكرم والنجدة
والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم
الغيظ والوقار والتودد الى الناس وامثالها وهى صفات
محمودة واما افراط هذه القوة وهو مذموم فيحصل منه
التهور والصلف والبذخ والتكبر والعجب والاستشاطة
واما تفريطها وهو مذموم ايضا فيصدر منه المهانة والمذلة

والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق
اللازم واما العفة فيصدر منها السخا والحيا والصبر والمسامحة
والقناعة واللطافة والمساعدة والصرف وقلة الطمع واما
خروجها عن الاعتدال الى الزيادة والنقصان فيحصل منه
الحرص والشره والوقاحة والتبذير والتقتير والريا والشماتة
والتذلل للاغنياء واحتقار الفقراء وغير ذلك فامهات
الفضايل من هذه الاربعة العلم والشجاعة والعفة
والعدل فمن جمع هذه الاربعة على الكمال استحق ان
يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون
به ومن تعرى عن هذه الاربعة كلها واتصف باضدادها
استحق ان يخرج من بين العباد ويطرد من البلاد تنبيه
من الظاهر البين عند اصحاب العقول السليمة ان
النفس انما دخلت هذا العالم الجسماني لتكسب العلم النافع
والعمل الصالح واشرف العلوم النافعة معرفة الله تعالى
ومعرفة حكمته في افعاله وفي خلق السماوات والارض
وما فيهما وما بينهما وهذه المعرفة لا تدرك بحاسة من
الحواس وانما تدرك بالعقل فكان العقل لهذا اشرف
ومدركاته اشرف ولما كان البدن مركبا للنفس
والة لتحصيل الاعمال الصالحة خلق الله للانسان
الحواس الظاهرة والباطنة واكرمه بالعقل الذي اشرف
من الكل فخلق له حاسة اللمس حتى اذا امسته نار محرقة
او سيف جارح احس بذلك وهرب وهذا اول حس
يخلق للحيوان فلو لم يحس اصلا لم يكن حيوانا واقل درجات
الاحساس ان يحس بما يلاصقه ويماسه فان الاحساس
بما يبعد منه احساس اتم وهذا موجود في كل حيوان

ولولم

ولو لم يخلق للانسان الا هذا الحس كان ناقصا لا يقدر على
طلب الغذاء من حيث يبعد عنه بل ما يماس بدنه يحس
به فيجتذبه الى نفسه فقط فافتقر الى حس يدرك
ما بعد عنه فخلق له الشم الا انه يدرك به الرايحة ولا
يدري من اي جهة جاءت فيحتاج الى ان يطوف كثيرا من
الجوانب وقد يعثر على الغذاء الذي شم رايحته وقد لا يعثر
فيكون ناقصا لو لم يخلق له الا ذاك فخلق له البصر ليدرك
به ما بعد عنه ويدرك جهته فيقصد تلك الجهة بعينها
الا انه لو لم يخلق له الا هذا لكان ناقصا اذ لا يدرك ما وراء
الجدرات والحجب فخلق له السمع حتى يدرك به الاصوات
من وراء الجدرات والحجب عند جريان الحركات لانه لا يبصر
الاشياء حاضرا وكل هذا ما كان نافعا له لو لم يكن له
حس الذوق اذ يصل الغذاء اليه فلا يدرك انه موافق
له او مخالف فياكله فيهلك كالشجرة تصيب في اصلها
كل مايع ولا ذوق لها فتجزبه وربما يكون ذالك سبب
هلاكها ويبسها وكل هذا لا يكفيه لو لم يخلق في مقدمة
دماغه ادراك اخر يسمى حسا مشتركا تتادى اليه هذه المحسوسات
وتجتمع فيه فانه اذا اكل شيا اصفر مثلا فوجده مرا غير
موافق له فتركه فاذا راه مرة اخرى فلا يعرف انه مضر
مر ما لم يذقه ثانيا لولا الحس المشترك لان العين تبصر
الصفرة ولا تدرك المرارة والذوق يدرك المرارة ولا يدرك
الصفرة فلا بد من حاكم تجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعا
حتى اذا راى الصفرة حكم بانه مر فيمتنع عن تناوله ثانيا
وهذا كله تشاركه فيه الحيوانات اذ للشاة هذه الحواس
فلو لم يكن له الا هذا لكان ناقصا لان هذه الحواس انما هي للحاضر

فاما الغايب وادراك العواقب فلا ولما حصل المقصود الاعظم
من خلق الانسان وهو معرفته خالقه وعبادته لان العبادة
لاتكون لمن لايعرف فاكرم الله الانسان وميزه بصفة
اخرى اشرف من الكل وهى العقل فيه يعرف الانسان
خالقه ويدرك المنافع والمضار فى الحال والمال اذ انفع الحواس
وابعدها مدركا العين الباصرة والعقل اشرف منها لان
البصر لايدرك نفسه ولايدرك ادراكه ولايدرك الته
اما انه لايدرك نفسه ولا ادراكه فلان القوة الباصرة
وادراكها ليسا من الامور المبصرة بالعين الباصرة واما
انه لايدرك الته فلهى العين والقوة الباصرة فى العين
لاتدرك العين واما العقل فانه يدرك نفسه ويدرك
ادراكه ويدرك الته فى الادراك وهى القلب والدماغ
وايضا البصر لايدرك الكليات والعقل يدركها ومدرك
الكليات اشرف من مدرك الجزئيات اما ان البصر لايدرك
الكليات فلان البصر لو ادرك كل ما فى الوجود فهو ما ادرك
الكل لان الكل عبارة عن كل ما يمكن دخوله فى الوجود
فى الماضى والحال والاستقبال واما ان العقل يدرك الكليات
فلانا نعرف ان الاشخاص الانسانية مشتركة فى الانسانية
ومتمايزة بخصوصياتها وما به المشاركة غير ما به الممايزة
فالانسانية من حيث هى انسانيه مغاير لهذه المشخصات
واما ان ادراك الكليات اشرف فلان ادراك الكليات
ممتنع التغير وادراك الجزئيات واجب التغير ولان
ادراك الكلى يتضمن ادراك الجزئيات الواقعة تحته
لان ما ثبت للماهية يثبت لجميع افرادها وايضا الادراك
الحسى غير منتج فلان من احس بشيئ لايكون ذالك الاحساس

سببا

سبب لحصول احساس اخر بل لو استعمل الة الحس مرة لاحس
به مرة اخرى وذلك لايكون انتاج الاحساس لاحساس اخر
واما ان الادراك العقلي ينتج فلانا اذا عقلنا امورا ثم ركبناها
في عقلنا توسلنا بتركيبها الى اكتساب علوم اخر وايضا الادراك
الحسي لايسع الامور الكثيرة والعقل يتسع لها اما ان الحس
لايتسع لها فلان البصر اذا توالى عليه الوان كثيرة التبست
عليه فادراك لونا كانه حاصل من اختلاط هذه الالوان
والسمع اذا توالت عليه اصوات كثيرة التبست عليه
ولم يحصل التميز والعقل يتسع لها فلان كل من كان تحصيله
للعلوم اكثر كانت قدرته على كسب الجديد اسهل لانه
مهما حصلت معرفة اخرى وازدوجت مع معرفة اخرى
حصل من ذلك نتاج اخر وهكذا يتمادى الانتاج وتتمادى
العلوم لكن هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي الى
طريق التفكر وانما منع اكثر الناس من زيادة العلوم لفقدهم
راس المال وهو المعارف التي تستثمر العلوم كالذي لاراس
مال معه فانه لايقدر على الربح وقد يملك راس المال
ولكن لايحسن صناعة التجارة فلا يربح شيئا فكذلك قد يكون
مع الانسان ماهو راس مال العلوم ولكن لايحسن استعمالها
وتاليفها وايقاع الازدواج المفضي الى النتاج وايضا البصر
لايدرك الشئ المرائي مع غاية القرب ولا مع غاية البعد
والعقل عنده القرب والبعد سواء فانه يدرك مافوق
السماوات وما تحت الارض ويدرك ذات الله تعالى مع كونه
مقدسا عن القرب والبعد والجهة وايضا الحس قد يقع في
ادراكه الغلط كثيرا فانه يدرك الصغير كبيرا كالنار البعيدة
في الظلمة وكالعنبة في الماء ترى كالاجاصة وكالنقطة من النار

اذا كانت على راس عود وحركته باستقامة فانه يرى خطا
ممدودا من نار واذا حركته على دايرة بسرعة يرى دايرة من
نار ولا وجود لهما اصلا ويري المعدوم موجودا كالسراب
في الصحراء فانه يرى ماء ويرى المتحرك ساكنا كالظل يراه
ساكنا وهو متحرك ويرى الثلج ابيض ولا بياض فيه اصلا
فانه مركب من اجزاء شفافة لا لون لها وهي الاجزاء المائية
الرشية فلولا العقل لكان معتقد صحة ما ادركه حسّه مخطاء
خطا فاحشا ولهذا قال افلاطون وارسطو وبطليموس وجالينوس
الحسيات غير يقينية بمعنى ان حزم العقل بالحسيات ليس
بمجرد الحس بل لا يدمع الاحساس من امور تنظم الى الحس لا نعلم
ما هي وحينئذ يجزم العقل بما جزم به من المحسوسات وهذه
القوة العقلية باعتبار ادراكها للكليات والحكم بينها بالنسبة
السلبية او الايجابية تسمى العقل النظرى وباعتبار استنباطها
للصناعات الفكرية مما ينبغى ان يفعل او يترك تسمى العقل
العملى وقد اعتنى علماء افرانسا ومن حذا حذوهم باستعمال
العقل العملى وتصريفه فاستخرجوا الصنائع العجيبة والفوايد
الغريبة فاقوا بها المتقدمين واعجزوا المتاخرين رقوا بها
اعلا المراقى وحصل لهم بها الذكر الباقى فلو استعملوا مع
هذا العقل النظرى فى معرفة الله وصفاته وفى معرفة حكمته
فى خلق السموات والارض وما يلزم للاله من الكمال وما يتقدس
عنه من النقص وما يمكن فى حقه ان يفعله وان لا يفعله
لكانوا حازوا المرتبة التى لا تدرك والمزية التى لا تشترك
ولكنهم اهملوا استعمال هذه القوة النظرية حتى انهم لا يسمع
منهم لها ذاكر ولا يعثر عليها فى كتبهم ناظر حتى لقد حكى
عن بعض علماء الوقت الان انه قال ان الضوء يمشى من الجسم

المضئ الى مايقابله من الاجسام كذا وكذا ميتره فى كذا وكذا ثانية
او دقيقة وتلقى العامة منه هذا القول بالقبول فلو استعمل
هذا العالم قوته النظرية فى حقيقة هذا الضوء لم يحكم بانتقاله
لان الضوء لا يخلوا اما ان يكون جسما او عرضا ولا ثالث
لهما فلو كان الضوء يمشى من الجسم المضئ الى مايقابله
من الاجسام كان لا ينتقل الا بانتقال الجسم الذى قام بـه
ذلك العرض باتفاق العقلاء اذ حقيقة العرض هو ما لا
يقوم بنفسه ولو كان الضوء جسما كان لا يداخل الاجسام
ولو دخل الضوء الى من طاق فسد لسان الطاق دفعة
واحدة كان يلزم ان تبقى الاجسام المضيئة فى البيت
على تقدير ان الضوء جسم وهو غير واقع بالمشاهدة وانما
حقيقة الضوء عرض يحدث فى ظاهر الجسم الكثيف من مقابلة
الجسم المضئ له اذا كان بينهما جسم شفاف وانما يحدث ذلك
الضوء من السبب التى يحدث منه ضوء الجسم المضئ كالشمس
والسراج فالذى يخلق الضوء فى الجسم المضئ يخلق الضوء فى
الجسم المقابل له فالضوء عرض يحل فى الجسم الكثيف ولا يحل
فى الهواء كما توهمه قوم بدليل ان القاعد فى غار طويل فى الجبل
لا يدرك بالليل ولا بالنهار خارج الغار والهواء يدخل الغار
بلا شك **خاتمة** العلوم تنقسم الى ما هو محمود والى
ما هو مذموم فالعلم المحمود ما يرتبط به مصالح الدين والدنيا
كالطب والحساب وكل علم لا يستغنى عنه فى قوام امر الدين
والدنيا كاصول الصناعات من الفلاحة والحياكة والسياسة
بل الحجامة من العلوم اللازمة فلو خلا البلد عن الحجام تسارع
الهلاك الى اهل ذلك البلد فان الذى انزل الداء انزل الدواء
وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فيقبح التعرض

للهلاك ومن المعلوم ان الانسان مدنى بالطبع فهو محتاج الى
التمدن والاجتماع مع ابناء جنسه ومهما اجتمع الناس فى المنازل
والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات اذ تحدث رياسة
الزوج على الزوجه ورياسة الابوين على الولد لانه ضعيف
يحتاج الى من يقوم عليه ومهما حصلت الرياسة على عاقل افضى
الى الخصومة بخلاف الرياسة على البهائم اذ ليست لها قوة
المخاصمة ولو ظلمت اما المراة فتنازع الزوج واما الولد فينازع
الابوين هذا فى المنزل واما اهل البلد فيتعاملون فى الحاجات
ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك
الرعاة وارباب الفلاحة يتنازعون على الاراضى ثم قد يعجز بعض
الناس عن الصناعة بعمى او مرض او هرم ولو ترك ضايعا لهلك
ولو وكل تفقده الى الجميع لفرطوا ولو خص واحد من غير
سبب يخصه لكان لا يذعن له تحدث من هذه الامور الحاصلة
بالاجتماع علوم منها علم المساحة التى بها تعرف مقادير الارض
لتمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها علم الجندية لحراسة
البلد بالسيف ومنها صناعة الحكم لفصل الخصومات ومنها
علم القانون الذى ينبغى ان يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف
على حدوده حتى لا يكثر النزاع ولهذه امور مخصوصة لا يقوم
بها الا مخصوصون بالعلم والتميز واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا
لصناعة اخرى ويحتاجون الى المعاش ويحتاج اهل البلد
اليهم اذ لو اشتغل اهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلا تعطلت
الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب والسلاح بالصناعات
وطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس وهلكت الناس
فلزم ان يمدهم اهل البلد باموالهم ليحرسوهم فتحدث الحاجة
الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج علوم اخر اذ

يحتاج

يحتاج الى من يوصف الخراج بالعدل على ارباب الاموال وهم
العمال والى من يستوفى منهم بالرفق وهم الجبات والى من يجمع
عنده الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق بالعدل
وهو الفارض للعساكر وهذه الاعمال لو لا تولاها اناس كثيرون
لا يجمعهم انسان واحد لانخرم النظام فحدثت الحاجة الى
ملك يدبرهم بالعلوم السياسة التى تلزم معرفتها كل ملك
فيكون الخلق كلهم بالنسبة الى العلوم المحتاج اليها ثلاثة طوايف
الفلاحون والمحترفون والثانية الجند الحماة بالسيوف
والثالثة المترددون بين الطايفتين بالاخذ والعطا ثم حدث
بسبب البيع والشرا الحاجة الى التقدير فان من يريد ان
يشترى طعاما بثوب فمن اين يدرى المقدار الذى يساويه
من الطعام كم هو فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين
بعدل احدهما بالاخر فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال
ويحتاج الى ما يطول بقاؤه وابقى الاموال المعادن فاتخذت
النقود من الذهب والفضة والنحاس فحدثت الحاجة الى دار
الضرب والنقش والتقدير وعلم المعادن واستخراجها
وتصفيتها فهذه هى علوم الخلق وهى معايشهم وكلها محمودة
ثم ان هذه العلوم لا تمكن مباشرتها الا بالتعلم والتعب فى الابتداء
وفى الناس من يغفل عن ذلك فى الصبا فلا يشتغل به او يمنعه
مانع فيبقى جاهلا وعاجزا عن العلوم التى يكتسب بها فيحتاج
الى ان ياكل مما سعى فيه غيره فيحدث فى ذلك حرفتان خسيستان
مذمومتان وهما اللصوصية والكدية ثم ان الناس يحرزون
اموالهم عن اللصوص والمكدين فاحتاجوا الى صرف عقولهم
فى استنباط الحيل والتدابير اما اللصوص فمنهم من يطلب اعوانا
وتكون له شوكة فيجتمعون ويقطعون الطريق كالاعراب

والاكراد ومن فعل فعلهم واما الضعفاء فيستعملون الحيل
امابنقب الدور والاسوار او الصعود عليها وقت غفلة الناس
اويكون طرارا واما المكدين فانه اذا طلب ماسعى فيه غيره
وقيل له اعمل وكل ومالك وللبطالة فاحتاج المكدون الى حيلة
فى استخراج اموال الناس فمنهم من يظهر العمى والفلج والمرض
وهو خال عن ذلك سببا للرحمة عليه ومنهم من يظهر اقوالا
وافعالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها
فيسخون لهم بالمال وذلك بالتمسخر والمحاكات والافعال
المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة مع حسن الصوت والشعر
الموزون له تاثير فى النفس ويدخل فى هذا الوعاظ الذين يصعدون
المنابر اذا لم يكن وراء كلامهم علم نافع وليس مرادهم الاكتساب
الدينار والدرهم واما العلم المذموم فاعلموا وفقكم الله ان العلم
لايذم لعينه من حيث انه علم اذ لاشئ من العلوم من حيث
انه علم بضار ولاشئ من الجهل من حيث انه جهل بنافع
لان فى كل علم منفعة اما فى المعاد او فى المعاش او الكمال الانسانى
اذ كل علم يفيد النظر فيه عقلا مزيدا وجميع العلوم الصناعية
والنظرية تفيد عقلا وانما يذم بعض العلوم لاحد اسباب
اما لكونه مؤيدا الى ضرر اما بصاحبه او بغيره كعلم السحر
والطلسمات وهو حق صحيح شهدت بصحته المشاهدة وهو
علم يستفاد من العلوم بخواص الجواهر وبامور حسابية فى
مطالع النجوم فيحدث من مجموع ذلك بحكم اجراء الله
العادة احوال غريبة وتاثيرات عجيبة اعنى ان تاثير النفوس
البشرية فى عالم العناصر ان كان بغير معين من الامور السماوية
فهو السحر وان كان بمعين من الامور السماوية فهو الطلسمات
ومعرفة هذه الاسباب من حيث انه معرفة ليست مذمومة

ليكون

ولكنها

ولكنها ليست تصلح الا للاضرار بالخلق وكانت هذه العلوم
فى اهل بابل من السريانيين والكلدانيين وفى اهل مصر من
القبط وغيرهم وكان لهم فيها التاليف الكثيرة وهذا العلم
مهجور فى الملة الاسلامية ولم يترجم لنا من كتبهم الا القليل
الى ان ظهر بالمشرق جابر بن حيان كبير السحارة فى هذه
الملة فتصفح هذا العلم واستخرج الصناعة ووضع فيها التاليف
واكثر الكلام فيها وفى صنعة الكيمياء لانها من توابعها لان
احالة الاجسام النوعية من صورة الى اخرى انما تكون بالقوى
النفسانية لا بالصناعة العملية واما لكون المتعلم يقصد بالعلم
فوق غايته كمن يقصد بعلم النجم الاطلاع على المغيبات والحوادث
الاتية وغاية علم النجم الاهتداء فى ظلمات البر والبحر وتسيير
الشمس والقمر والمنازل والبروج للاستعانة على الزراعة ونحوها
واقل احوال من يقصد بعلم النجم الاطلاع على المغيبات انه
خوض فى فضول لا ينفع فان المقدور واقع والاحتراز منه غير
ممكن واحكام النجوم ظن خالص والحكم بالظن حكم بجهل وما
يتفق من اصابة منجم على الندور انما هو اتفاق لان المنجم
يطلع على بعض الاسباب ولا يحصل المسبب عقبها الا بعد
شروط كثيرة لا يطلع المنجم عليها فان قدر الله بقية الاسباب
وقعت الاصابة وان لم يقدر اخطا ويكون ذلك كظن
الانسان ان السماء تمطر اليوم اذا راى السحاب يجتمع وينبعث
من الجبال وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب السحاب وربما
يكون المطر فالمنجم باستدلاله بالنجم على الحوادث كاستدلال
الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض فتارة يكون
وتارة لا يكون مع ان الطب اكثر اسبابه مما يطلع الاطباء عليها
واما لكون العلم عزيز المنال رفيع المرقى ويتعاطاه من ليس

اهله فيتضرر الباب الثانى فى اثبات العلم الشرعى
اعلموا وفقكم الله ان العقل وان بلغ من الشرف والاطلاع
على حقايق الاشياء ما بلغ فثم علوم لا يصل اليها ولا يهتدى
الى الاطلاع عليها الا بتصديق الانبياء واتباعهم والانقياد
اليهم بمعنى ان علوم الانبياء زايدة على علم العقل الذى قلنا
انه متضمن فى غريزة العقل يجده مهما صرف عقله فى اكتسابه
والعقل مع عزله عن علوم الانبياء الا باتباعهم مستعد لقبول
علومهم والانقياد اليها والاستحسان لها مهما عرفوه اياها
وبيان ان ثم علوم زايدة وراء علم العقل ان الله تعالى خلق
الانسان خاليا لا خبر له عن مخلوقات الله وهى كثيرة لا يحيط
بها الا خالقها فيخلق له حاسة اللمس فيدرك بها الملموسات
وهى اجناس كثيرة ولا تدرك الاصوات ولا الالوان فهى
كالمعدومة فى حقه ثم يخلق له البصر فيدرك به بعض
الموجودات الى ان يتجاوز المحسوسات فيخلق فيه التمييز
وهو طور اخر فيدرك به امورا وراء المحسوسات لا يوجد شيء
منها فى المحسوسات ثم يترقى الى طور اخر وهو طور العقل فيدرك
به امورا لا توجد فى الاطوار التى قبله ووراء العقل طور اخر
وامور اخر العقل معزول عنها ولا يصل اليها بنفسه بل بغيره
كما عزلت الحواس عن مدركات العقل فالعلوم التى تحل فى
العقل تنقسم الى عقلية وشرعية اما العقلية فنعنى بها
ما تحكم به غريزة العقل من غير تقليد وسماع وهى تنقسم الى
ضرورية كعلم الانسان لا يكون فى مكانين فى ان واحد
وبان الشئ لا يكون موجودا معدوما وهذه علوم يجد
الانسان نفسه عارفا بها ولا يدرى من اين حصل له ذلك
اعنى لا يدرى سببا قريبا والا فليس يخفى ان الله هو الذى

خلقه

خلقه وهداه اليه والى علوم مكتسبة وهى المستفادة بالتعلم
والاستدلال والنظر واما العلوم الشرعية فهى الماخوذة
عن الانبيا وذلك يحصل بالتعلم لكتب الله المنزلة مثل
التورية والانجيل والزبور والفرقان وفهم معانيهما بعد
السماع وبها يكمل العقل ويسلم من الامراض فالعلوم العقلية
غير كافية فى السلامة وان كانت محتاجا اليها كما ان
العقل غير كاف فى استدامة صحة البدن بل يحتاج الانسان
الى معرفة خواص الادية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء
اذ مجرد العقل لا يصل اليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه
الا بالعقل فلا غنى بالعقل عن العلوم الشرعية ولا غنى بها
عن العقل فالذى يدعى الناس الى التقليد المحض مع عذل
العقل جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن العلوم الشرعية
مغرور فاياكم ان تكونوا من احد الفريقين وكونوا جامعين
بينهما فان العلوم العقلية كاغذية والعلوم الشرعية كالادوية
والشخص المريض يتضرر بالغذاء اذا فاته الدواء وقلوب
الخلق كلها مرضى ولا علاج لها الا بالادوية التى ركبها
الانبياء وهى وظايف العبادات فمن اكتفى بالعلوم العقلية
تضرر بها كما يتضرر المريض بالغذاء كما وقع لبعض النا س
فانهم قالوا الانسان اذا حصل له المعقول واثبت للعالم
صانعا وصل الى الكمال المطلق فتكون سعادته على قدر علمه
وشقاوته على قدر جهله وعقله هو الذى يوصله الى هذه
السعادة واياكم ان تظنوا ان العلوم الشرعية مناقضة ومنا فرة
للعلوم العقلية بل كل شيئ جاء عن الانبياء مما شرعوه للناس
لا يخالف العقول السليمة نعم يكون فى شرايع الانبياء ما تستبعده
العقول لقصورها عنه فاذا عرفت طريقه عرفت انه الحق

الذى لاينبغى العدول عنه مثاله فى شرع الاسلام الذهب
والفضة فان الشرع يمنع من اختزانهما من غير اعطاء بعضها
للفقراء والمساكين ويمنع من اتخاذ الاوانى للاكل والشرب
منها ويمنع من بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فاذا
قيل لانسان اعط بعضها للفقراء والا تحرق بالنار يقول
انا تعبت وجمعتها فكيف اعطيها من كان نايماً مستريحاً هذا
خارج عن العقل واذا قيل له لا تاكل ولا تشرب فى اوانى الذهب
والفضة والا تحرق بالنار يقول انا اتصرف فى ملكى ولا ينازعنى
فيه احد فكيف اعاقب على التصرف فى ملكى هذا خارج عن
العقل واذا قيل له لا تبع الذهب بالذهب ولا الفضة بالفضة
بزيادة والا تحرق بالنار يقول انا ابيع واشترى برضى منى ومن
الذى اتعامل معه ولولا البيع والشراء لخربت الدنيا
وتعطلت المنافع هذا شيئ خارج عن العقل وكلامه هذا صحيح
فان العقل غير مدرك للعقاب على هذه الامور فيحتاج العقل
الى التعريف فيقال له الحكمة التى خلق الله الذهب والفضة
لاجلها هى ان قوام الدنيا بهما وهما حجران لا منفعة فى اعيانهما
اذ لا يردان حرًّا ولا بردًا ولا يغذيان جسماً والخلق كلهم
محتاج اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى اشياء كثيرة
فى مطعمه وملبسه وقد لا يملك ما يحتاج اليه ويملك ما يستغنى
عنه كمن يملك القمح مثلا وهو محتاج الى فرس والذى يملك
الفرس قد يستغنى عنه ويحتاج الى البر فلا بد بينهما من معاوضة
ولا بد من تقدير العوض اذ لا يعطى صاحب الفرس فرسه
بكل مقدار من البر ولا مناسبة بين البر والفرس حتى
يقال يعطى منه مثله فى الوزن والصورة فلا يدرى ان الفرس
كم يسوى بالبر فتتعذر المعاملات فى هذا المثال واشباهه

فاحتاج

فاحتاج الناس الى متوسط يحكم بينهم بالعدل فخلق الله الذهب
والفضة حاكمين بين الناس فى جميع المعاملات فيقال هذا الفرس
يسوى مائة دينار وهذا القدر من البر يسوى مثله وانما كان
التعديل بالذهب والفضة لانه لا غرض فى اعيانهما وانما
خلقهما الله لتداولهما الايدى ويكونا حاكمين بالعدل ونسبتهما الى
جميع الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما كانه ملك كل شيئ
ومن ملك فرسا مثلا فانه لم يملك الا ذلك الفرس فلو احتاج
الى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام فى الفرس لان غرضه فى
ثوب مثلا فاحتيج الى ما هو فى صورته كانه ليس بشيئ وهو
فى معناه كانه كل الاشياء والشيئ انما تستوى نسبته الى الاشياء
المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة كالمرات لا لون لها وتحكى
كل لون فكذالك الذهب والفضة لا غرض فيهما وهما وسيلتان
الى كل غرض فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكمة الالهية
فانه يعاقب بالنار ان لم يقع السماح فمن كنزهما من غير ان
يعطى منهما قدرا مخصوصا للفقراء فقد ابطل الحكمة فيهما وكان
كمن حبس الحاكم الذى يفصل بين الناس ويقطع الخصومات
فى سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لانه اذا كنزهما فقد ضيع الحكم
وما خلق الله الذهب والفضة لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة
وانما خلقهما لتتداولهما الايدى ليكونا حاكمين بين الناس ولا
شك ان العقل اذا عرف هذا الذى قلناه حكم بان ادخار الذهب
والفضة عن الناس ظلم واستحسن العقوبة عليه لان الله
تعالى لم يخلق احدا للضياع وانما جعل عيش الفقراء على الاغنياء
ولكن الاغنياء ظلموا الفقراء ومنعوا لهم حقهم الذى جعله الله لهم
وكذا نقول من اتخذ من الذهب والفضة انية للاكل والشرب
فهو ظالم وكان اشر من الذى كنزهما وادخرهما لان مثال هذا مثال

من جعل حاكم البلد حجاما او دراز ا او جزارا من الاعمال التى يقوم بها
اخساء الناس لان النحاس والرصاص والطين تنوب مناب الذهب
والفضة فى حفظ الماكولات والمشروبات عن التبديد وفايدة الاوانى
حفظ المايعات ولا يكفى الطين والحديد والرصاص والنحاس فى
المقصود الذى يراد من الذهب والفضة ولا شك ان العقل اذا عرف
هذا لم يتوقف فى استحسانه واستحسان العقوبة عليه وكذا
نقول من باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة بزيادة قد
جعلهما مقصودين فى ذاتهما للتجارة وذلك خلاف الحكمة الالهية
لان من عنده ثوب مثلا وليس عنده ذهب ولا فضة وهو
محتاج الى طعام فقد لا يقدر ان يشترى الطعام بالثوب فهو
معذور فى بيعه بالذهب او الفضة فيتوصل الى مقصوده فانهما
وسيلتان الى الغير لا غرض فى اعيانهما فاما من عنده ذهب فاراد
بيعه بذهب او فضة فارا د بيعها بفضة فانه يمنع من ذلك
لانه يبقى الذهب او الفضة متقيدين محبوسين عنده ويكون بمنزلة
الذى كنز وتقييد الحاكم او الرسول الموصل الحاجات الى الغير ظلم
فلا معنى لبيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة الا اتخاذهما
مقصودين للادخار فاذا عرف العقل هذا احسنه وحسن العقوبة
عليه وانما كان بيع الذهب بالفضة والعكس لا عقوبة عليه
لان احدهما يخالف الاخر فى التوصل به الى قضاء الحوايج اذ
يسهل التوصل بالفضة من جهة كثرتها فتتفرق فى الحاجات
والمنع تشويش للمقصود به وهو تسهيل التوصل به الى غيره
وكذا نقول لمن يبيع الفضة او الذهب بزيادة الى اجل كمن
يبيع عشرة بعشرين الى سنة ان مبنى الاجتماع واساس
الاديان هو استعمال ما يوجب المحبة والالفة فيحصل
التناصر والتعاون والانسان اذا كان محتاجا وجد

من يسلفه فلا شك انه يتقلد منة من اسلفه ويعتقد محبته
ويرى ان نصرته واعانته امر لازم له ففي منع بيع الذهب
والفضة بزيادة الى اجل ابقاء لمنفعة السلف التي هي من اجل
المقاصد وهذا الذي ذكرناه جزئية من كليات تبين ان الشرع
لا يخالف العقل وقس عليه جميع ما امرت به الانبياء ونهت
عنه فجميع اقوال الانبياء لا تخالف العقول ولكن فيها ما لا
يهتدي العقل اليه او لا فاذا هدى اليه عرفه واذعن له وكما
يطلع الطبيب الحاذق على اسرار في المعالجات يستبعدها من
لا يعرفها فكذلك الانبياء فلا يصل العقل الى علومهم الا بتعريفهم
ويلزم العاقل التسليم لهم بعد النظر في صدقهم فكم من
شخص يصيبه مرض في اصبعه فيقتضي عقله ان يطليه بالدواء
حتى ينبهه الطبيب الحاذق ان علاجه ان يطلق الكتف من
الجانب الاخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد فاذا
عرفه الطبيب كيفية انشعاب الاعصاب ومنابتها ووجه
التفافها على البدن اذعن **فصل في اثبات النبوة
واحتياج كافة العقلاء الى علوم الانبياء** اعلموا وفقكم الله
ان النبوة هي عبارة عن طور تنفتح فيه عين اخرى زايدة على
طور العقل ونظره ينظر بها النبي ما يكون في المستقبل من امور
العقل معزول عن ادراكها كعزل قوة التمييز عن ادراك المعقولات
وكعزل الحواس عن مدركات التمييز وانظروا الى ذوق الشعر
كيف يختص به قوم من الناس وهو نوع احساس وادراك
ويحرم عنه بعضهم وانظروا كيف عظمت قوة هذا الذوق
في طايفة حتى استخرجوا بها الموسيقى والاغاني والاوتار
ونحوها التي منها الحازن والمطرب والمبكي والمضحك والقاتل
والموجب للغشي وانما يقوى على استنباط هذه الانواع من

قوى له اصل الذوق واما العاطل عن خاصية هذا الذوق فيشاركه
فى سماع الصوت وتضعف فيه هذه الاثار وهو يتعجب من صاحب
الوجل والغشى ولو اجتمع العقلاء كلهم من ارباب الذوق
على تفهيمه معنى الذوق لم يقدروا عليه فلا تجعلوا الكمال
وقفا على العقل فوراء كمال العقل كمال اخر اعلا من كمال العقل
وكما ان المميز لو عرضت عليه مدركات العقل لانكرها واستبعدها
فكذلك بعض العقلاء استبعدوا مدركات النبوة ولا مستند
لاستبعادها الا انها طور لم تبلغه العقول وقد خلق الله
مثالا للنبوة من حيث انها ادراك زايد على الادراك المتعارف
وهو النوم اذ النائم يدرك امورا تكون فى المستقبل اما
صريحا واما باشارة يعرفها المعبرون للرؤيا وهذا لو لم
يجربه الانسان من نفسه وقيل له ان من الناس من يسقط
كالميت ويزول احساسه وسمعه وبصره فيدرك المغيبات
لانكره وقال القوى الحسية اسباب الادراك والانسان
لايدرك المغيبات مع وجود حواسه فكيف يدرك مع
غيبتها والوجود والمشاهدة قاضيان بصحة النوم وقد
شهد ناصحة كثير من المنامات وبلغنا عن الثقات بالنقل الصحيح
ان الفردوسى الشاعر لما صنف كتابه المسمى بشاهنامه على
اسم السلطان محمود بن سبكتكين وانه ما قضى حقه كما
يلزم وما راعاه كما يليق بذلك الكتاب ضاق قلب الفردوسى
فراى رستم فى المنام فقال له انك مدحتنى فى هذا الكتاب
كثيرا وانا فى جملة الاموات فلا اقدر على قضاحقك ولكن
اذهب الى الموضع الفلانى واحفر فانك تجد فيه دفينا
كنت دفنته فخذه فذهب فوجده واخذه فكان الفردوسى
يقول ان رستم بعد موته كان اكثر كرما من محمود حال حياته

والشك

والشك في النبوة اما ان يكون في امكانها او وجودها او حصولها
لشخص معين ودليل امكانها ووجودها وجود معارف في
العالم لا يمكن ان تدرك بالعقل كعلم الطب وعلم النجم فان
من بحث في علميهما علم يقيناً ان بعضها لا يدرك الا من جهة
الله تعالى ولا تكون التجربة طريقاً اليها فان من الاحكام
النجومية ما لا يقع الا في كل الف سنة مرة فكيف يحصل ذلك
العلم بالتجربة وكذلك خواص الادوية فظهر بهذا ان من الممكن
وجود طريق ادراك هذه الامور التي لا يدركها العقل وهو
المراد بالنبوة وثم امور تسمى خواص لا يدور العقل حولها
اصلا فان وزن دانق من الافيون سم قاتل لانه يجمد الدم
في العروق لقوة برودته والعالم بالطبيعيات يقول انه
يبرد لانه من المبردات التي يغلب فيها عنصر الماء والتراب
ومعلوم ان ارطالا من الماء والتراب لا يبلغ تبريدهما الى هذا
الحد ولو اخبر طبيب بهذا ولم يجربه لقال هذا كذب لان الماء
والتراب لو كانا وحدهما ما وصلا الى هذا الحد والافيون فيه
هوائية ونارية فاذا جربه التزم ان يقول ان في الافيون
خاصية في التبريد خارجة عن قياس المعقول ولو قيل
لانسان هل يمكن ان يكون في الدنيا شيئ هو بمقدار حبة
قمح يوضع في بلدة فياكل تلك البلدة بجملتها ثم ياكل
نفسه فلا يبقى شيئ من البلدة وما فيها ولا يبقى هو في نفسه
لقال هذا محال وهو من جملة الخرافات وهذه حالة ينكرها
من لم ير النار واكثر العجايب التي يخبر بها الانبياء من
هذا المعنى واذا ثبت ان الله تعالى فاعل مختار لا علة
موجبة وثبت ان ارسال الانبياء ممكن غير محال في حقه
وجاءت الانبياء بما يصدقهم من المعجزات الخارقة

للعادة لزم تصد يقهم والدليل على ان الله تعالى فاعل مختار هو
ان هذه الاجسام الموجودة متناهية وكل متناه فهو مشكل
ينتج ان هذه الاجسام الموجودة مشكلة ولهذه الاشكال
قسمان احدها الاشكال التى حصلت على سبيل الاتفاق من
غير ان يحتاج حصوله الى فعل فاعل حكيم والثانى الاشكال
التى يشهد صريح العقل بانها لم تحصل الا بقصد فاعل حكيم
اما القسم الاول فمثل الحجر المنكسر والكوز المنكسر فانه لابد
وان يكون لتلك القطعة من الحجر والفجار شكل مخصوص معين
الا ان صريح العقل شاهد بان ذلك الشكل المخصوص وقع
على سبيل الاتفاق ولا يتوقف حصوله على فعل فاعل
مختار واما القسم الثانى فهو مثل الاشكال الواقعة على
وفق المصالح والمنافع مثاله الابريق اننا لما نظرنا الى الابريق
راينا فيه ثلاثة اشياء احدها الراس الواسع وثانيها
البلبلة الضيقة وثالثها العروة فلما تاملنا فى هذه الاحوال
الثلاثة وجدناها موافقة لمصلحة الخلق فانه لابد من توسيع
راس الابريق حتى يدخل الماء بالسهولة ولابد من ضيق بلبلته
حتى يخرج الماء منها بقدر الحاجة ولابد له من العروة حتى
يقدر الانسان على ان ياخذه بيده فلما وجدنا هذه الاوصاف
الثلاثة فى الابريق مطابقة للمصلحة شهد عقل كل واحد
بان فاعل هذا الابريق لابد وان يكون قد فعله بناء على الحكمة
ورعاية المصلحة ولو ان قايلا قال ان هذا الابريق تكون
بنفسه من غير قصد قاصد حكيم ولا فعل فاعل بل اتفق تكونه
فى نفسه كما اتفق تشكل هذه القطعة بهذا الشكل الخاص من
غير قصد قاصد حكيم ولا جعل جاعل لشهدت الفطرة السليمة
بان هذا القول باطل محال ومتى ثبت القول بالفاعل المختار

ثبت حدوث العالم ومن عرف هذا سهل عليه معرفة النبى
فان من دخل بستانا وراى ازهارا حادثة بعدان لم تك ثم راى
عنقود عنب قد اسود جميع حباته الا حبة واحدة مع تساوى
نسبة الماء والهواء وحر الشمس الى جميع تلك الحبات فانه
يضطر الى العلم بان فاعله مختار وحينئذ تحصل المعرفة
الضرورية بصدق الرسول لان دلالة المعجزة على صدق
الرسول ضرورية تنبيه اذا وقع لكم الشك فى شخص
معين انه نبى ام لا فلا يحصل لكم اليقين الا بمعرفة احواله
اما بالمشاهدة واما بالتسامع والتواتر فانكم اذا عرفتم الطب
والحكمة مثلا يمكنكم ان تعرفوا الاطباء والحكماء بمشاهدة احوالهم
وسماع اقوالهم وان لم تشاهدوهم فلا تعجزون عن معرفة
كون جالينوس طبيبا وكون افلاطون حكيما معرفة بالحقيقة لا
بالتقليد للغير بان تطالعوا كتبهما وتصانيفهما بعد معرفتكم
بالطب والحكمة فيحصل لكم العلم الضرورى بحالهما فاذا فهمتم
معنى النبوة فاكثروا من مطالعة كتب الانبياء واخبارهم وكيف
كانت سيرتهم واحوالهم فاذا قال قايل ان هذا المنقول
عنهم خرافات وكذب فنقول له ما بال الناس ينقلون نقلا
متواترا عن غير الانبياء مثل ما نقلوا عن الانبياء واكثر الامور
التى نقلت عن الانبياء مما يدل على صدقهم متواترة يجزم
العقل بانها موجوده والتواتر مقيد للعلم وحقيقة التواتر هو ان
يخبر جماعة يبعد تواطؤهم على الكذب عادة عن امر محسوس
فيحكم العقل به بمجرد خبرهم فيحصل العلم الضرورى ولا
شك فى هذا اذ لا طريق للعلم الضرورى بالبلاد البعيدة
مثل الصين وامريقة والاشخاص الماضية كحاتم وعنترة
وجالينوس وارسطوا الا بالتواتر وجميع الانبيا انما ثبتت نبوتهم

عندنا وعند كل من لم يشاهدهم ويعاصرهم بالتواتر لانه نقل
الينا بالتواتر احوالهم وسيرهم وظهور الخوارق على ايديهم فان
رددنا التواتر وما قبلناه واقتصرنا على ما نشاهده يلزمنا
عدم التصديق بوجود البلاد التى لم نشاهدها وعدم الاشخاص
الذين لم نشاهدهم وهو ظاهر البطلان وان اعترفنا بصحة
التواتر لزمنا الاعتراف بنبوة جميع الانبياء والنبى يدعوا الناس
الى عبادة الله ولا ضرر عليه لو خالفه الناس اجمعون ومثال
الرسول مع الذين ما صدقوه ولا اجالوا خواطرهم بالنظر فى صحة
قوله مثال رجل يقول لاخران وراءك سبعا ضاريا فان لم
تهرب قتلك وان التفت وراءك ونظرت عرفت صدقى فيقول
الواقف انه لا يثبت صدقك عندى الا اذا نظرت والتفت
وراءى ولا التفت وراءى الا اذا ثبت صدقك وهذا الكلام
يدل على حماقة هذا القايل وتعرضه للمهالك ولا ضرر فيه على
هذا المخبر فكذالك الرسول يقول وراءكم الموت ووراء الموت
السباع الضارية والنيران المحرقة فان لم تحذروا منها وتعرفون
صدقى بالنظر فى احوالى ومعجزاتى لهلكتم فمن التفت ونظر
عرف ونجا ومن لم يلتفت ولم ينظر هلك ولا ضرر على ولو
هلك الناس اجمعون فالرسول يعرف بوجود السباع الضارية
بعد الموت والعقل يفهم كلامه ويحكم بامكان وقوع ما يقوله
فى المستقبل والطبع من شانه الحذر من الضرر واساس
الديانة واصولها لا خلاف فيها بين الانبياء من آدم الى
محمد فكلهم يدعون الخلق الى توحيد الاله وتعظيمه واعتقاد
ان كل شيئ فى العالم صنعه وانه تعالى علة لوجود كل شيئ
ولا علة لوجوده هو سبحانه والى حفظ النفس والعقل
والنسل والمال فهذه الكليات الخمس لا خلاف فيها بين الانبياء

وجميع الشرائع متفقة عليها وحاصلها يرجع الى تعظيم الاله
والشفقة على مخلوقاته وطريان النسخ على هذه الكليات
الخمس محال وانما النسخ يمكن فى الشرائع الوضعية وهى الاشياء
التى يجوز ويصح ان لا تكون مشروعة دون الاحكام العقلية
كتوحيد الاله وما ذكرنا معه من الكليات فان العقول
والشرائع متوافقة على لزوم حفظها والخلاف بين الانبياء
فى كيفية حفظها ووضع القوانين لدوام بقائها محفوظة وفائدة
النسخ وحكمته اما على تقدير كون الاحكام الشرعية معللة بمصالح
العباد واللطف بهم فيمكن ان تختلف مصالح الاوقات فتختلف
الاحكام بحسبها كمعالجة الطبيب فانه قد يامر بشرب
دواء خاص فى وقت دون وقت فربما كانت المصلحة فى وقت
ثبوت الحكم لاشتماله على شيئ تلزم رعايته وفى وقت آخر
ارتفاعه لاشتمال رفعه على مصلحة اخري حادثة بعد زوال
الاولى واما على تقديرات الاحكام الشرعية مستندة الى محض
ارادة الله من غير مراعات مصلحة فالامر هين لانه تعالى
هو الحاكم المطلق الفعال لما يريد فيمكن ان يضع حكما ويرفع
حكما لا لعلة وغرض فكما لا تنافى بين الامر المقتضى لوجود
الحادث فى وقت وبين الامر المقتضى لفنائه فى وقت آخر
كذلك ليس بين تحليل الشيئ فى زمان وتحريمه فى زمان
آخر تناف اصلا وكما ان مدة بقاء كل حادث وزمان فنائه
معين فى علم الله وان كان مجهولا لنا كذلك مدة بقاء
كل حكم وزمن تغيره كان معينا فى علم الله وان كان مجهولا
لاهل الاديان السابقة فالتخالف بين شرايع الانبياء فى جزئيات
الاحكام بسبب تفاوت الاعصار فى المصالح من حيث ان كل واحد
من الاحكام حق بالاضافة الى اهل زمانه مراعى فيه مصالح من خوطب

به فالنسخ انما هو للاحكام لا لنبوة النبي المنسوخة لشريعته
فان النبوة وصف لا تزول عمن اتصف بها واليهود منعوا
النسخ وذلك ان الانجيل النازل على المسيح ليس فيه احكام
من الحلال والحرام وانما هو رموز وامثال ومواعظ والاحكام
محالة على التوراة فقالت اليهود ان عيسى مامور باتباع
التورية وموافقة موسى فغير وبدل وعدوا عليه من
التغييرات تغيير السبت الى الاحد ومنها اكل الخنزير وكان
حراما في التورية ومنها الختان وكان لازما في التوراة ومنها
الغسل من الجنابة وكان لازما في التورية ومنها زوال النجاسة
وكان لازما في التورية وغير ذلك واحتجت اليهود بان موسى
نفى نسخ دينه ويلزم الاعتراف بصدقه لكونه نبيا بالاتفاق
وذلك انه قال بالتواتر تمسكوا بالسبت مادامت السموات
والارض والمراد بدوامه دوام اليهودية كما هو ظاهر اللفظ
واحتجوا ايضا بان موسى اما ان يكون صرح بدوام دينه او بعدم
دوامه او سكت والاخيران باطلان اما تصريحه بعدم
دوام دينه فانه لو قال ذلك لتواتر عنه لكونه من الامور
العظيمة التي تتوفر الدواعي على نقلها واشاعتها سيما من
الاعداء ومن يدعي نسخ دينه لانه اقوى حجة له في نسخه
لكنه لم يتواتر باتفاق واما الثالث وهو سكوته فلانه
يقتضي ثبوت دينه مرة واحدة وعدم تكرره لان الشيئ اذا اطلق
يتحقق بالمرة الواحدة وهذا معلوم البطلان لتقرر شرع موسى
الى وقت ظهور المسيح فاجابهم النصارى المصدقون
للمسيح القائلون بان نسخ الشرايع ممكن بان تواتر دوام السبت
عن موسى باطل ولو كان متواترا لاحتج به على المسيح ولو احتج
به عليه لنقل الينا متواترا لتوفر الدواعي على نقله ولا نتواتر واما

قولكم

قولكم انه كان صرح بدوام دينه او بعدم دوامه او سكت فجوابه
انه صرح بدوامه الى ظهور الناسخ وهو المسيح وانما لم ينقل
ذلك تواتر القلة الدواعي منهم الى نقله لما فيه من الحجة عليهم
والنسخ في الحقيقة ليس هو ابطال وانما هو تكميل وفي التوراة
احكام عامة واحكام مخصوصة اما باشخاص واما بازمان واذا
انتهى ذلك الزمن لم يبق ذلك الحكم لامحالة ولايقال
انه ابطال واليهود لو عرفوا لما ورد التكليف بملازمة السبت
وهو يوم اى شخص يوم من الاشخاص وفي مقابلة اية حال
وجزاء اى زمن عرفوا ان شريعة المسيح حق واليهود لهم الذين
اعتدوا في السبت فمسخهم الله قردة وخنازير وقال المسيح
ماجيئت لابطال التوراة بل جيئت لاكملها قال صاحب التوراة
النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والجروح
قصاص وانا اقول اذا لطمك اخوك على خدك الايمن فضع له
خدك الايسر وجواب النصارى لليهود هو جواب المسلمين
للنصارى والذي قاله المسيح قاله محمد فانه قال ماجيئت
لابطل الانجيل والتوراة وانما جيئت لاكملهما ففي التوراة
احكام السياسة الظاهرة العامة وفي الانجيل احكام السياسة
الباطنة الخاصة وانا جيئت بالسياستين جميعا جيئت بالقصاص
ولكم في القصاص حيوة وهو اشارة الى السياسة الظاهرة
العامة وجيئت بالعفو وان تعفوا اقرب للتقوى خذ
العفو وامر بالعرف واعرض عن الجهلين وهو اشارة الى
السياسة الباطنة الخاصة وهذا دليل على ان محمدا صلى الله
عليه وسلم خاتم النبيين لان النبوة حكمة والحكمة اما عملية
او علمية او جامعة بينهما وحكمة موسى كانت عملية لاشتمالها
على تكاليف شاقة واعمال متعبة وحكمة المسيح كانت علمية

لاشتمالها على التجرد والروحانيات والتصوف المحض وحكمة
محمد جامعة بينهما فلا يجئ نبى بعده غير المسيح فانه ينزل
ثانيا الى الارض لان الذى يجئ بعد محمد ان كانت حكمته
عمليه فموسوى وان كانت حكمته علمية فمسيحى وان كانت
جامعة بينهما فمحمدى فقد انختمت عليه النبوة بالضرورة
فالدين واحد باتفاق الانبياء وانما اختلفوا فى بعض القوانين
الجزئية فهم كرجال ابوهم واحد وامهاتهم متعددة فتكذيب
جميعهم او تكذيب البعض وتصديق البعض قصور ولو
اصغى المسلمون والنصارى الى لرفعت الخلاف بينهم ولصاروا
اخوانا ظاهرا وباطنا ولكن لا يصغون الى لما سبق فى علم
الله انه لا يجمعهم على راى واحد ويرفع الخلاف بينهم الا
المسيح عند نزوله ولا يجمعهم بمجرد كلامه مع انه يحى الموتى
ويبرئ الاكمه والابرص ولا يجمعهم الا بالسيف والقتل
ولو جائنى من يريد معرفة طريق الحق وكان يفهم لسانى
فهما كاملا لاوصلته الى طريق الحق من غير تعب لا بان يقلدنى
بل يظهر الحق له حتى يعترف به اضطرارا وعلوم الانبياء
من حيث خطابهم للعامة دائرة على ما يصلح الناس فى معاشهم
ومعادهم وما جاؤا ليجادلوا الفلاسفة ولا لابطال علوم الطب
ولا علوم النجم ولا علوم الهندسة وانما جاء باعتبار هذه العلوم
على وجه لا يناقض التوحيد ونسبة كل ما يحدث فى العالم
الى قدرته وارادته سبحانه فما جاو المنازعة من يقول الجسم
مركب من العناصر الاربعة ولا من يقول ان الارض كرية الشكل
ولا من يقول ان خسوف القمر بسبب توسط الارض بينه
وبين الشمس فان امثال هذه الامور لا تضاد ما جاءت به الانبياء
وبحث الانبياء فى العالم انما هو عن كونه حادثا او قديما ثم اذا

ثبت حدوثه فسواء كان كرة او بسيطا وسواء كانت السماوات
وما تحتها ثلاث عشرة طبقة او اقل او اكثر فالمقصود كونه من
فعل الله ومن قال هذا مناقض للدين او المنازعة فيه من
الدين وضرر الشرع من جهة من ينصره لا بطريقته اكثر ممن
يطعن فيه خاتمة ان المكذب للانبياء المستغنى بعقله عما
جاؤا به من الاعمال والعبادات مغرور وكل ما جاء في فضل
العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة
عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد الشيء على خلاف
ما هو عليه فمهما كان الانسان يعتقد شيئا يوافق هواه وكان
السبب الموجب لاعتقاده دليلا فاسدا فهو مغرور وانواع
الغرور والمغرورون كثير ونذكر نوعا واحدا وهم الذين
غرتهم الدنيا فنقول قال الذين غرتهم الدنيا الحاضر خير
من المنتظر والدنيا حاضرة والاخرة منتظرة فالدنيا خير فلا
بد من الاشتغال بها وبما يصلحها وقالوا اليقين خير من
الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الاخرة شك فلا نترك
اليقين لاجل الشك ودواء هذا اما بتصديق الانبياء فيما قالوا
واما بالدليل والبرهان اما تصديق الانبياء بمجرد افهو مرتبة
العوام ويخرج المصدق لهم من الغرور وينزل هذا منزلة
تصديق الصبى والده في ان حضور المكتب خير من حضور
اللعب مع انه لا يدرى وجه كونه خيرا واما البرهان فهو ان يعرف
فساد هذا الدليل وفيه اصلان احدهما ان الدنيا حاضرة والاخرة
منتظرة وهذا صحيح والاخر ان الحاضر خير من المنتظر وليس كذلك
بل ان كان الحاضر مثل المنتظر في المقدار فهو خير وان كان اقل منه
فالمنتظر خير فان المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة منتظرة
ولا يقول الحاضر خير من المنتظر فلا اتركه واذا حذره الطبيب

من اكل الفواكه ولذايذ الاطعمة ترك ذلك فى الحال خوفا من
الم المرض فى المستقبل فقد ترك الحاضر ورضى بالمنتظر والتجار
كلهم يركبون البحار ويتعبون فى الاسفار حاضرا لاجل الربح
والراحة فى المستقبل فان كان عشرة فى المستقبل خيرا من واحد
فى الحاضر فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الاخرة
فان غاية عمر الانسان مايه سنة وليس هو عشر عشر من
جزء من مايه الف الف جزء من الاخرة فانه ترك واحدا
لياخذ الف الف بل ياخذ ما لا نهاية له ولا حد وان نظر
من حيث اللذة راى لذة الدنيا مكدرة مشوبة بانواع المنغصات
ولذة الاخرة صافية غير مكدرة فاذا انه غلط فى قوله الحاضر
خير من المنتظر واما الدليل الاخر وهو قوله اليقين خير
من الشك والدنيا يقين فهو اكثر فسادا من الاول اذ اليقين
خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر فى تعبه على
يقين وفى ربحه على شك والمتعلم فى اجتهاده وتعبه
على يقين وفى ادراكه رتبة العلماء على شك والصياد
فى تردده فى مواضع الصيد على يقين وفى الظفر بالصيد
على شك وكل هذا ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول
ان لم اتجر بقيت جايعا وان اتجرت كان تعبى قليلا وربحى
كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء المر وهو من
الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول
ضرر مرارة الدواء قليل بالنسبة الى ما اخافه من المرض والموت
فكذلك من شك فيما قاله الانبياء فى الاخرة بعد الموت
فلازم له بحكم العقل والحزم الذى هو راب العقلاء ان يقول
الصبر اياما قلايل وهو مدة العمر قليل بالنسبة الى ما يقال من
امور الاخرة فان كان ما قيل كذبا فلا تفوتنى الا الراحة

والتنعم

والتنعم ايام عمرى وان كان ما قيل صدقا فابقى فى النار ابدالابد
وهذا لايطاق ولهذا قال بعض المصدقين للانبياء لبعض المكذبين
ياهذا ان كان الذى قلته انت حقا فقد تخلصت وتخلصنا
وان كان الذى قلته انا حقا فقد تخلصنا وهلكت انت
واما الاصل الثانى وهوان الاخرة شك فهو خطاء بل هو
يقين عند العقلاء وطريق زوال هذا الغرور هو التصديق
للانبياء والعلماء بوجود الاخرة وما اعد الله فيها للمطيعين
والعاصين ومثاله مثال مريض لايعرف دواء علته وقد اتفق
الاطباء كلهم على ان دواء النبت الفلانى فان المريض يصدقهم
ولا يطالبهم بالبرهان على صحة قولهم بل يتيقن بقولهم ويعمل
به ولو بقى معتوها وصبى يكذبهم فى ذلك والمريض يعلم انهم اكثر
عددا ممن كذبهم واعظم منه فضلا واعلم منه بالطب ولو ركن
المريض الى قول المعتوه وترك قول الاطباء كان معتوها
مغرورا فكذلك من نظر الى المقرين بالاخرة والمصدقين بها
وجدهم اعلا الناس رتبة فى العقل والمعارف ووجد المكذبين
بالاخرة اخس الناس من البطالين الذين غلبت عليهم الشهوات
البهيمية فلما ان قول المعتوه لايزيل ثقة القلب بما اتفق عليه
الاطباء فكذلك قول هؤلاء البطالين الذين بقوا محبوسين
فى مدركات الحواس لايشكك فى قول الانبياء والعلماء الباب
الثالث فى فضل الكتابة اعلموا انه تقرر ان الانسان
مدنى بالطبع اذ الانسان الواحد لو لم يكن فى الوجود الا هو
والا الامور الموجودة فى الطبيعة لهلك او ساءت معيشته
فالانسان محتاج الى امور زايدة عما فى الطبيعة مثل الغذاء المصنوع
فان الاغذية لاتلايم الانسان والملابس لاتصلح له الا اذا
صارت صناعية فلذلك يحتاج الانسان الى جملة من الصناعات

حتى تسهل اسباب معيشته والانسان الواحد لايمكنه القيام
بالصناعات كلها فلا بد من المشاركه والاجتماع حتى يخبز
هذا لذلك وينسج ذاك لهذا وحينئذ فيحتاج الانسان
الى ان تكون له قدرة على ان يعرف الاخر الذى هو شريكه
ما فى نفسه بعلامة وضعية وهى اما اشارة واما لفظ واما
كتابة والاشارة تتوقف على المشاهدة واللفظ يتوقف
على حضور المخاطب وسماعه واما الخط فلا يتوقف على شيئ
فهو اشرفها وهو خاصية النوع الانسانى فاللفظ اشرف من
الاشارة والكتابة افضل من النطق لان الاشارة لاتصلح الا للشيئ
المرئى الحاضر وهى عبارة عن تحريك الحدقة الى جانب معين
فالاشارة نوع واحد او نوعان فلا تصلح لتعريف الاشياء
المختلفة وايضا اذا اشير الى شيئ فذلك الشيئ ذات قامت
بها صفات كثيرة فلا يعرف بسبب تلك الاشارة ان المراد
تعريف الذات وحدها او الصفة الفلانية واما اللفظ فانه
واف بجميع ذلك لان اللفظ يتناول الموجود والمعدوم ويتناول
ما تصح الاشارة اليه وما لا تصح الاشارة اليه ويفهم المقصود منه
دون ابهام والكتابة اشرف وانفع من الاشارة واللفظ
لان القلم وان كان لاينطق فانه يسمع اهل المشرق واهل
المغرب فما جمعت العلوم ولا قيدت الحكمة ولا ضبطت اخبار
الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا
الكتابة ما استقام للناس دين ولا دنيا فالكتابة عين
العيون بها يبصر الشاهد الغائب وفى الكتابة تعبير عن الضمير
بما لاينطق به اللسان ولذا قيل القلم احد اللسانين بل الكتابة
ابلغ من اللسان فان الانسان يقدر على كتابة ما لا يقدر ان يخاطب
به غيره ويبلغ المقصود حيث لا يمكن الكلام مشافهة ولهذا نهى

شرع الاسلام عن تعليم النساء الكتابة لان المراة قد لايمكنها القاء
من تهوى فتكتب له فتكون الكتابة سببا للفتنة ومن المعلوم
ان البيان بيانان اثنان بيان اللسان وبيان البنان ومن
فضل بيان البنان ان ما تثبته الاقلام باق مع الايام وبيان
اللسان تدرسه الاعوام وقوام الدين والدنيا بشيئين
السيف والقلم والسيف تحت القلم ولله در من قال
كذا قضى الله للاقلام مذ بريت ، ان السيوف لها مذ ارهفت خدم
وقد قدمنا ان الملكات الصناعية تفيد عقلا زايدا والكتابة
من بين الصنايع اكثر افادة لذلك لانها تشتمل على علوم وانظار
اذ فيها انتقال من صور الحروف الخطية الى الكلمات اللفظية
ومنها الى المعانى فهو ينتقل من دليل الى دليل وتتعود النفوس
ذلك دايما فيحصل لها ملكة الانتقال من الدليل الى المدلول
وهو مقتضى النظر العقلى الذى يكتسب به العلوم المجهولة
فيحصل بذلك مزيد عقل وزيادة فطنة والكتابة وان
عظمت منفعتها فهى مفرعة عن النطق ولكن قد يوجد فى الفرع
ما لا يوجد فى الاصل فيكون فى الفرع ما لا فى الاصل وزيادة بيانه
ان بدن الانسان لا يتم الا بالقلب الذى هو معدن الحرارة الطبيعية
ولا بد من وصول النسيم البارد اليه ساعة بعد ساعة حتى يبقى
على اعتداله ولا يحترق فخلقت الالات فى بدنه بحيث يقدر
الانسان بها على ادخال النسيم البارد فى قلبه فاذا امكث ذلك
النسيم لحظه سخن وفسد لزم اخراجه فالصانع الحكيم جعل
النفس الخارج سببا لحدوث الصوت ثم ان الصوت سهل تقطيعه
فى المحابس المختلفة فحصلت هيات مخصوصة بسبب تقطيع
ذلك الصوت فى تلك المحابس وتلك الهيئات المخصوصة هى الحروف
ثم ركبوا الحروف فحصلت الكلمات ثم جعلوا كل كلمة مخصوصة معرفة

لمعنى مخصوص ثم اضطروا الى الكتابة وعظمت الحاجة اليها وظاهر ان ادخالها في الوجود صعب وذلك انا لو افتقرنا الى ان نضع لتعريف كل معنى من المعاني نقشا مخصوصا لافتقرنا الى وضع نقوش لا نهاية فدبروا فيه طريقا لطيفا وهو انهم وضعوا بازاء كل واحد من الحروف النطقية البسيطة نقشا خاصا ثم جعلوا النقوش المركبة فسهلت الكتابة بهذا الطريق فلهذا كانت الكتابة مفرعة عن النطق ولكن حصلت في الكتابة منفعة عظيمة وهو ان عقل الانسان الواحد لا يقدر على استنباط العلوم الكثيرة فصار الانسان اذا استنبط مقدارا من العلم واثبته بالكتابة فاذا جاء انسان اخر ووقف عليه قدر على استنباط شيء اخر زائد على ذلك الاول فظهر ان العلوم انما كثرت باعانة الكتابة فصل جميع كتابات الامم من سكان المشرق والمغرب اثنتا عشرة كتابة وهي الفارسية والحميرية والعربية واليونانية والسريانية والعبرانية والرومية والقبطية والبربرية والاندلسية والهندية والصينية وخمس من هذه بطل استعمالها ولم يبق من يعرفها من الامم وهي الحميرية واليونانية والقبطية والبربرية والاندلسية والباقيات مستعملات في بلدانها اما الكتابة الفارسية فانه وان كان جنسها واحدا ففيها ستة انواع من الخطوط وحروفها مركبة من ابجد هوز كلمن سعفص قرشت ثخذ فالتاء المثناة من فوق والحاء المهملة والصاد والضاد والطاء والظاء والعين المهملة والقاف سواقط عندهم واول من وضع الكتابة الفارسية كهمورث ويقال كيومرث ثالث ملوك الفرس الاولى ويقال انه اول من تكلم بالفارسية وقيل اول من كتب بالفارسية الضحاك وقيل فريدون وملوك الفرس طبقتان فعدة الطبقة

الاولى

الاولى تسعة عشر ملكا منهم امراتان اخرهم دارا ابن دارا الذي
قتله الاسكندر اليوناني ودثرت الفرس الاولى كدثور الامم الماضية
وعدد ملوك الفرس الثانية ثلاثون ملكا منهم امراتان اولهم
اردشير بن بابك بن ساسان الذى وضع له النرد واخرهم
يزدجرد بن شهريار وهم الاكاسرة واصح ما قيل فى مدة ملك
الفرس من ابتداء ملك كيومرث بن اميم الى انقضاء ملكهم
من الارض ثلاثة الاف سنة ومائة سنة واربع وستون
سنة وانقضى ملكهم بقتل يزدجرد بن شهريار فى خلافة
عثمان بن عفان سنة اثنين وثلاثين من الهجرة وكانت الفرس
قليلة الكتب والرسائل ولم يكن لهم اقتدار على بسط الكلام
واخراج المعانى من النفوس الى ان ملك زرادشت صاحب
شريعة المجوس واظهر كتابه العجيب بجميع اللغات الزم الناس
بتعليم الخط والكتابة فمهروا فى ذلك ولغات اهل فارس
فى القديم خمس الفهلوية والدرية والفارسية والخوزية والسريا نية
اما الفهلوية فمنسوبة الى فهلة اسم يقع على خمسة بلدان وهى
اصبهان والرى وهمدان ونهاوند واذربيجان واما الدرية
فمنسوبة الى دار الملك وهى لغة اهل المداين وبها كان يتكلم
من بدار الملك واما الفارسية فيتكلم بها الموابذة والعلماء
وهى لغة اهل فارس واما الخوزية فبها كان يتكلم الملوك
والاشراف فى الخلوة مع حاشيتهم واصحابهم واما السريانية
فكان يتكلم بها اهل السواد الا انها سريانية غير فصيحة واما
الكتابة العربية فالصحيح ان اول من خط بالعربي مرامر بن مرة
وكان يسكن الانبار ومن الانبار انتشرت الكتابة فى العرب واصل
الخط العربى هو الخط الكوفى والنقط حادث فى الخط العربى حدث
بعد الاسلام والذى نقل الكتابة من الانبار الى الحجاز حرب بن

امية جد الملوك الاموية وهذه الطريقة الموجودة الان اخرجها
من خط الكوفيين وابرزها في هذه الصورة ابو علي محمد بن
مقلة وزير المقتدر بالله العباسي ثم جاء بعده ابو الحسن
علي بن هلال المعروف بابن البواب فهذب هذه الطريقة
وكساها طلاوة وبهجة وهذه الكتابة العربية قريبة الحدوث
لان العرب كانوا اهل حفظ ورواية اغناهم حفظهم عن
الكتابة وكانت اشعارهم هي دواوين تواريخهم وضابطة
لايامهم وحروبهم ولم يكن فيها عالم معروف ولا حكيم مذكور
واما الكتابة الحميرية فقد قدمنا انها درست وكانت تسمى
المسند وحروفها منفصلة غير متصلة وكانوا يمنعون العامة
من تعلمها ولا يتعلمها احد الا باذن الملك فجاءت ملة الاسلام
وليس بجميع اليمن من يقرء ويكتب قيل اول من وضع كتابة المسند
هو حمير ابو ملوك اليمن وهو سبا لانه لما اكثر الغزو في اقطار
الارض سموه سبا وهو الذي ابتنا صقلية وكثيرا من مداين
المغرب تملك المغرب ماية سنة ووصل ملك ملوك حمير من
جهة الغرب الى طنجة ومن جهة المشرق الى سمرقند وهي
مدينة الصغد والذي دخلها وهدمها شمر بن افريغش فسميت
شمركند اي شمر اخربها لان معنى شمر بالفارسي اخرب ثم ان
العرب عربوها وقالوا سمرقند ثم ظهر له في بنائها فبناها
وكتب على بابها بالكتابة الحميرية هذا فعل شمر الاشم ملك العرب
لا العجم فمن بلغ هذا المكان فهو مثلي ومن جاوزه فهو افضل
واخر ملوك حمير ذو جدن وكانت مدة ملكهم الفين وعشرين
سنة ثم ملك اليمن بعدهم من الحبشة اربعة ومن الفرس
ثمانية ثم جاء الاسلام فصارت لهم واما الكتابة السريانية
فهي ثلاثة انواع واقدم الانواع عندهم لا فرق بينه

وبين

وبين العربي في الهجاء الا ان التاء المثلثة والخاء والذال والصاد
والضاد والغين كلها سواقط عندهم وكذا لام الف وتركيب
حروفها من اليمين الى اليسار وبالسريانية كان يكتب
الكلدانيون ومعنى الكلدانيين الموحدون ولهم امة قديمة
مسكنهم العراق وجزيرة العرب منهم النماردة ملوك الارض
بعد الطوفان ولغة السريانية الفصيحة شانها عجيب
لان الكلام فيها يتركب من الحروف الهجائية فكل حرف هجاء في
السريانية يدل على معنى مفيد فاذا جمع الى مفيد آخر حصلت
منهما فائدة الكلام وتختلف معاني الحروف باختلاف الحركات
والكلام في كل لغة غير السريانية يتركب من الكلمات لا من
الحروف الهجائية وكانت اللغة السريانية صافية من ادم
الى ادريس وهو الملقب بهرمس الهرامسة والمثلث بالنعمة
لانه كان نبيا ملكا حكيما وهو باني الاهرام بمصر على الصحيح
وهو اول من تكلم في الاجرام العلوية والحركات النجومية
واول من نظر في الطب والف في البسايط والمركبات واول
من وضع الهندسة فلما ذهب ادريس وقع التبديل والتغيير
في اللغة السريانية وجعل الناس ينقلونها عن اصلها ويستنبطون
منها لغاتهم واول لغة استنبطت من السريانية لغة الهند
فهي اقرب اللغات الى السريانية ولهذا كانت اللغة السريانية
سارية في جميع اللغات سريان الماء في العود لان حروف
الهجاء في كل كلمة من كل لغة قد فسرت في السريانية ووضعت
لمعانيها الخاصة مثاله احمد يدل في اللغة العربية اذا كان
علما على الذات المسماة به وفي اللغة السريانية تدل الهمزة
المفتوحة التي في اوله على معنى والحاء المسكنة على معنى والميم
المفتوحة على معنى والدال ان كانت مضمومة على معنى وان

كانت مفتوحة على معنى وان كانت مكسورة على معنى وهكذا
كل كلمة مثل زيد وعمرو ورجل وامراة والفارقليط وضع
في اللغة العربية علما على محمد بن عبد الله وفي السريانية
كل حرف من حروف هذه الكلمة يدل على معنى الى آخر حروفه
واما الكتابة العبرانية فهي من ابجد الى اخر قرشت ومابعده
سواقط وهي ماخوذة من السرياني ومنسوبة الى عابر
ابن شالخ واضعها واما الكتابة الرومية اللطينية فاول
من اخترع حروف اللسان اللطيني واثبتها كرمنش بن
مرسية بن شمس بن مزكية ولم تكن قبله وذلك بعد اربعة
الاف وخمسين من مبدا الخليفة اخذها من كتابة اليونان
واليونان اخذوا كتابتهم من اهل صور وكان اهل صور احدى
مداين الشام القديمة اخترعوا كتابة وهي التي كانت منشا
للحروف اليونانية ومن كتابة اليونان اخذ اللطينيون كتابتهم
التي هي كتابة جميع اهل اروبا مع بعض اختلاف وقد اندرست
الكتابة اليونانية وقلم اليونان والروم من اليمين الى اليسار
مرتب على ترتيب حروف ابجد وحروفهم ابج، وزطي،
كلمن، سعفظ، قرشت، ثخ، صغ، فالدال والهاء والحاء والذال
والضاد ولام الف سواقط والسبب الذي من اجله يكتبون
من اليسار الى اليمين انهم يقولون ان شان الجالس ان يستقبل
المشرق لانه مطلع النيرات ومحل ظهور النور فاذا توجه الى
المشرق يكون الشمال على يساره فاذا كان كذلك فاليسار
يعطي اليمين القوة وسبب اخر وهوان حركة الاعضاء من
استمداد الكبد والكبد يستمد من القلب والقلب من جهة
اليسار فطريق الكتابة ان يبتدى من الجهة التي منها
الاستمداد تنبيه حروف الكتابة العربية اكثر من

حروف

حروف جميع كتابات الامم فانها ثمانية وعشرون حرفا وهي
ابجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ ويعبرون
عنها بابجد وهي عبارة عن ثمان كلمات مشهورة مفتتحة بهذه
الكلمة جمع فيها جميع حروف الكتابة العربية بلا تكرير وقد
جرت العادة بتعليمها المبتدين بعد ما علموهم حروف الهجاء
مفرداتها ومركباتها الثنائية على ترتيب مالوف للطباع منشط
لهم على اخذه وضبطه والفايدة في ذلك هو التنبيه للمبتدى
بعد تعلمه المفردات والثنائيات ان في الكلام تركيبات ثلاثيات
ورباعيات غير متضمنة على نظام مالوف ليستانس بوقوع
المخالفة بين الحروف فيسهل عليه الشروع في الكلام المطلق
وفيه فائدة اخرى وهي ايناس المبتدين بالفاظ مستعملة مهملة
لا معنى لها ويؤيد هذا ان معنى ابجد اخذ ومعنى هوز ركب
ومعنى حطي وقف على المقصود ومعنى كلمن صار متكلما
ومعنى سعفص اسرع في التعلم ومعنى قرشت اخذه بالقلب
ومعنى ثخذ حفظ ومعنى ضظغ اتم وتكون كلها على صفة
الماضي من الثلاثي او الرباعي فمعنى المجموع على ترتيبها اخذ
ركب وقف على المقصود صار متكلما اسرع في التعلم اخذه
بالقلب حفظ اتم وعلى هذا يمكن اعتبار فائدة اخرى فيها
وهي تاليف المبتدئين بالمعاني المربوطة بعضها ببعض بنوع
من الارتباط ليتفطن المتعلم الذكي اذا عرفها الى ان الاهم له
اللايق به في حال التعلم ما يفهم من هذه الكلمات من الاخذ
والتركيب والوقوف على المقصود وتكرار التكلم والاسراع
في التعلم والاقبال عليه بالقلب وحفظه له والقيام بحقه
من الاتمام وغيره واما قول صاحب القاموس وابجد الى قرشت
وكلمن رئيسهم ملوك مدين وضعوا الكتابة العربية على عدد

في ضمن من المعاني بعد
ما كانوا يستعملون من تركيبا
من الحروف مهملة

حروف اسمائهم هلكوا يوم الظلة الى ان قال ثم وجدوا معهم
بعدهم ثخذ ضظغ فسموها الروادف فهو قول غريب من صاحب
القاموس بعيد عن الصواب لا تخفى غرابته من وجوه كثيرة
وهذه الكلمات الثمانية فرعوا عليها من قديم الزمن الحساب
المشهور بالجمل بضم الجيم وفتح الميم فان جميع حروف الهجاء
المجموعة فيها ثمانية وعشرون حرفا فجعلوا اسبعة وعشرين
منها الاصول مراتب الاعداد من الاحاد والعشرات والميات
وواحد للالوف فلم يحتاجوا معها الى ضم شيئ اخر اليها اصلا
فضلا عن تكرارها كما احتاج اهل الهند فى ارقام حسابهم
الى ضم علامة صفر فى عشراتهم وصفرين فى مياتهم وثلاثة
فى احاد الالاف وهكذا فيحصل المقصود فى جميع المراتب من
نفس هذه الحروف بالافراد والتركيب والتقديم والتاخير
كما هو مقرر معروف **خاتمة** من الناس من ينكر
التاليف والتصنيف وكتابة العلوم فى هذا الزمن وهذا الانكار
خطاء اذ لا وجه لانكار التصنيف اذا صدر من العلماء الكاملين
البالغين مرتبة التصنيف وانما يحمل هذا المنكر على انكاره التنافس
والحسد الجارى بين كل متعاصرين ولله در من قال

قل لمن يرى المعاصر شيئا ... ويرى للاوايل التقديما
ان ذاك القديم كان حديثا ... وسيبقى هذا الحديث قديما

فان نتائج الافكار لا تقف عند حد وتصرفات العقول لا نهاية
لها لان العالم المعنوى واسع كالبحر الزاخر والفيض الالهى ليس
له انقطاع ولا آخر وغير محال ولا مستبعد ان يدخر الله لبعض
المتاخرين ما لم يعطه لكثير من المتقدمين فقول القائل ما ترك
الاول للاخر شيئا خطا والقول الصحيح هو كم ترك الاول
للاخر ويقال لا كلمة اضر بالعلم من قولهم ما ترك الاول

للآخر

للاخر شيا، لان هذه الكلمة تقطع الامال عن زيادة العلم علم المتقدمين
ويقتصر الاخر على ما قدمه الاول وهو خطر عظيم وقول سقيم
فالاوائل فازوا باستخراج الاصول وتمهيد القواعد والاواخر
فازوا بالاستنباط من الاحوال وتشييد تلك القواعد وزيادة
البناء عليها وان تصانيف العلوم كثيرة لاختلاف اغراض المصنفين
وهي تنحصر من جهة المقدار في ثلاثة اصناف الاول مختصرات
تجعل تذكرة لرؤس المسائل ينتفع بها المنتهى للاستحضار وربما
افادت بعض المبتدئين الاذكياء والثاني مبسوطات تقابل المختصرات
وهي ينتفع بها للمطالعة والثالث متوسطات ونفعها عام
والتصنيف على سبعة اقسام لا يصنف عالم عاقل الا فيها
وهي اما شيئ لم يسبق اليه فيخترعه او شيئ ناقص فيتمه او
شيئ مغلق يشرحه ويبينه او شيئ طويل يختصره دون ان
ينقص شيئا من معانيه او شيئ متفرق يجمعه او شيئ مختلط
يرتبه او شيئ اخطا فيه مؤلفه فيصلحه ويشترط في التصنيف
اتمام الغرض الذى وضع الكتاب لاجله من غير زيادة ولا نقص
وعدم استعمال اللفظ الغريب الا في الرموز والالغاز وينبغي ان
يكون التصنيف مسوقا على حسب ادراك اهل الزمن وعلى
قدر ما تصل اليه عقولهم فاذا كانت الخواطر ثاقبة قام الاختصار
لها مقام الاكثار واستغنت بالتلويح عن التصريح والا تكن الخواطر
كذلك فلا بد لها من زيادة الكشف والبيان وقد جرت عادة
المصنفين ان يذكروا في صدر كتبهم اشيا سموها الرؤس منها
الغرض والباعث الذى وقع التصنيف لاجله ومنها المنفعة
ليتشوق الطالب الناظر في التاليف اليها ومنها العنوان
الدال على ما ياتي تفصيله ومنها تسمية المولف نفسه ليعلم
قدره في العلم وغير هذا والمصنفون على فرق منهم من له في العلم

ملكة تامة ودراية كاملة وفهم ثاقب فتصنيف هذه الفرقة
عن قوة تبصرة ونفاذ فكر وسداد راي ومنهم من له ذهن
ثاقب وعبارة سهلة طالع الكتب فاستخرج دررها واحسن
نظمها وهذا ينتفع به المبتدؤن والمتوسطون ومنهم من
صنف وجمع ليفيد نفسه لا لافادة غيره وهذا لا اجر عليه
ويلزم كل مصنف اذا تمم ما صنفه الا يخرجه للناس
ولا يطرحه من يده الا بعد تهذيبه وتنقيحه واعادة مطالعته
فانه قد قيل الانسان في سعة وفي سلامة من افواه جنسه
مالم يصنف كتابا او يقل شعرا ويقال من الف فقد استشرف
اى مدعنقه للمدح او الذم فان احسن فقد استعطف اى عطفت
عليه القلوب وان اساء فقد استقذف اى عرض نفسه للقذف
والشتم والعالم اذا اراد تصنيف كتاب بغير لغته وبغير خطه
الذى نشا عليهما وسبقت ملكتهما اليه ربما كان ذلك عسيرا
في غاية الصعوبة وانى لاتعجب وما تقضى عجبى من علماء
فرانسا وقدرتهم على هذا فان الله خصهم بمزيد ذكاء وفطنة
لان مباحث العلوم انما هى في المعانى ولابد في اقتناص المعانى
من الالفاظ من معرفة دلالتها اللفظية والخطية عليها
واذا كانت الملكة في الدلالة راسخة بحيث يتبادر المعانى
الى الذهن من الالفاظ زال الحجاب بين المعانى والفهم
ولم يبق الامعانات في المعانى من المباحث هذا شان المعانى
مع الالفاظ والخط بالنسبة الى كل لغة فثبت ان اللغة
ملكة في اللسان والخط صناعة ملكتها في اليد فاذا تقدمت
في اللسان ملكة العجمة السابقة وفي اليد ملكة غير الخط العربى
صار مقصرا في اللغة والخط العربيين لان الملكة اذا تقدمت
في صناعة فقل ان يجيد صاحبها ملكة في صناعة اخرى الا ان

تكون

تكون ملكة العجمة السابقة لم تستحكم كما في الاصاغر من ابناء
العرب والعجم وكان علماء الملة الاسلامية في صدر الاسلام
غير مشتغلين بالتصنيف جارين على طريق العرب الاول في الا
ستغناء بالحفظ وكانوا يقولون اذا كتبنا اعتمدنا على الكتابة
وتركنا الحفظ فيعرض للكتاب عارض فيتلف علمهم بتلف الكتاب
ويقولون ايضا الكتاب يمكن ان يزاد او ينقص منه ويغير
والذى يحفظ لايمكن تغييره ويحكى فى هذا المعنى حكاية
وقعت زمن المامون العباسى وذلك انه جاءه يهودى يوما
على انه يشتكى من مظلمة ظلمها فلما تكلم اليهودى تعجب المامون
من فصاحته وبلاغته وقوة قلبه وظرافته ولطافته فعرض
عليه المامون الاسلام فامتنع ثم بعد سنتين جاء مسلما
الى المامون فساله عن سبب اسلامه فقال له انى لما ذهبت
من عندك قلت فى نفسى اختبر الاديان فعمدت الى التوراة
فكتبت منه عدة نسخ فقدمت بعض الكلمات واخرت البعض
واسقطت البعض وذهبت بالنسخ الى مجمع احبار اليهود
فتسا قطوا على النسخ واشتروها ثم عمدت الى الانجيل وعملت
به ما عملت بالتوراة وذهبت بالنسخ الى مجمع القسيين فتسا قطوا
على النسخ واشتروها ثم عمدت الى القران وفعلت به ما فعلت
بالتوراة والانجيل وذهبت بالنسخ الى مجمع العلماء فصار كل من
يتصفح النسخ وينظر فيها يقول هذا ما هو قران ويرميها فعلمت
ان الكتب المنزلة كلها تقبل التبديل والتغيير الا القران لكونه
محفوظا فى صدور اهله فاسلمت لهذا السبب ثم لما انتشر الاسلام
واتسعت مملكته وحدثت الفتن شرعوا فى تدوين الحديث
النبوى وقوانين الشريعة واشتغلوا بالنظر والاستدلال
والاستنباط وتمهيد القواعد والاصول وترتيب الفوائد

والفصول وكان ذلك مصلحة عظيمة ومع هذا فالسند عند
علماء الاسلام شرط في العمل بما في الكتب والاحتجاج بها والسند
هو ان يعطي المصنف كتابه الى اخر ويقول له اذنت لك
ان تروي عني هذا الكتاب او يعطيه الذي اخذه عن المصنف
الى اخر بهذا الشرط وهكذا كل علم واذا عدم هذا السند
في كتاب يكون غير معتبر ولو تكون فيه العلوم الكثيرة ولا
يصح نسبة ما في الكتاب الى من نسب الكتاب اليه الا بشرط
السند وهذا شيئ خص به علماء الاسلام وشريعته فان
احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم رواها عنه العدول
ثم اخذها عن اوليك العدول عدول اخرون وهكذا حتى
وصلت للبخاري مثلا وهو عدل ثم البخاري صنف كتابه ورواه
عنه تسعون الفا ثم انتشر في المشرق والمغرب بالسند حتى وصل
الينا واما علوم الاوايل والفلاسفة فانها في صدر الاسلام
مهجورة الى دولة بني العباس وكان اول من اعتنى منهم
بالعلوم ابو جعفر المنصور وكان مقدما في علم الفلسفة
والنجوم ثم لما وصلت الخلافة الى المامون بن الرشيد تمم ما بدا
به جده واستخرج العلم من معادنه بعلو همته فراسل
ملوك الروم وسالهم كتب الفلاسفة فبعثوا اليه من كتب
افلاطون وارسطوا وبقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس
وغيرهم واحضر لهذه الكتب مهرة المترجمين فترجموا له على
غاية ما امكن ثم الزم الناس قراتها ورغبهم في تعلمها اذ المقصود
من المنع منها في صدر الاسلام هو لاجل ضبط قواعد الشريعة
ورسوخ عقايد الصحيحة وقد حصل ذلك مع ان اكثر الفلسفة
والهيئة والهندسة لا تعلق لها بالديانات ولما نقلت علوم
الامم بالترجمة وحدثت الملكات لاهل الملة الاسلامية نقلوا هذه

العلوم

العلوم الى علومهم وبقيت تلك الدفاتر التى باللغة الاعجمية نسيا منسيا واصبحت العلوم كلها بلغة العرب واحتاج القايمون بها الى معرفة الدلالات اللفظية والخطية فى لسانهم دون ماسواه من الالسن لدروسها وذهاب العناية بها

خاتمة الرسالة فى انقسام الناس بحسب العلوم والمعارف واختلاف المذاهب اعلموا ان الناس قسمان قسم اعتنى بالعلوم فظهرت منهم انواع المعارف فهم صفوة الله من خلقه وقسم لم يعتنى بالعلوم عناية يستحق بها اسمه فالاول امم منهم الهند والفرس واليونان والروم والفرنج والعرب والعبرانيون واهل مصر والثانى بقية الامم اما الهند فان اهله وان كانوا فى اول مراتب السواد فان الله جنبهم سوء اخلاق السودان وفضلهم على كثير من البيض فهم اهل الاراء الفاضلة والاحلام الراجحة ولهم التحقيق فى علم العدد والهندسة والطب والنجوم والعلم الطبيعى ومنهم براهمة فرقة قليلة العدد مذهبهم ابطال النبوات وتحريم ذبح الحيوان وهذا من ضعف امزجتهم وقلوبهم فان قوى القلب بحسب المزاج يستحسن الايلام ولايستقبحه وجمهور الهند صابية يعبدون الملايكة والكواكب ولهم ينكرون النبوات ايضا ولهم فى تعظيم الكواكب وادوارها اراء ومذاهب والمشهور فى كتبهم مذهب السندهند اى دهر الداهر ومذهب الاجهير ومذهب الاركند ولهم فى الحساب والاخلاق والموسيقى تاليفات كثيرة ومن تصانيف حكماء الهند كتاب كليله ودمنه ومافيه من الحكم المنظومة بضرب الامثال يشهد بكمال عقل واضعه وترجم من الهندية الى الفارسية ايام انوشروان الملك العادل وكان محبا فى العلم واهله ثم ترجم من الفارسية الى العربية ايام المنصور العباسى ترجمه ابن المقفع

العالم المشهور ويكفى اهل الهند شرفا وضع الشطرنج الذى سار
فى الدنيا سير الشمس وصار الناس يشهدون بالعقل لمن يحسن
اللعب به فكيف بعقل واضعه ومستنبطه واسم واضعه صاصه
ابن داهر واسم الملك الذى وضع لاجله شهرام وكان اردشير
ابن بابك اول ملوك الفرس الاخيرة وضع النرد وافتخرت الفرس
به فلما وضع صاصه بن داهر الشطرنج حكمت حكماء ذلك العصر
بترجيحه على النرد ولما عرضه على الملك شهرام اعجبه وفرح به
كثيرا وقال لصاصه اطلب منى ما تريد من الاموال فقال
له طلبت ان تضع حبة قمح فى البيت الاول ولا تزال تضاعفها
حتى تنتهى الى الاخر فمهما بلغ من القمح تعطينى فاستصغر الملك
ذلك وانكر عليه لكونه طلب شيئا حقيرا عند الملك وكان
اضمر له شيئا كثيرا فقال صاصه ما اريد الا هذا فراده
فيه وهو مصمم عليه فاجابه الملك الى مطلوبه فلما قيل
لارباب الاقلام حسبوه فقالوا ما عندنا قمح يفى بهذا ولا بما
يقاربه فلما اخبر الملك استنكر هذه المقاله واحضر ارباب
الديوان وسالهم فقالوا له لو جمع كل قمح فى الدنيا ما بلغ هذا
القدر فطالبهم ببيانه فقعدوا له وحسبوه فظهر له صدق
ذلك فقال الملك شهرام لصاصه انت فى طلبتك اعجب حالا من
وضعك الشطرنج ومن تامل الشطرنج وتامل حركات قطعه
وتفكر فى صورة وضعه وجده قد كشف عن سر من القضاء
والقدر بسهولة وذلك ان الواضع له حكيم فيما قدره وقرره
وامضاه وقضاه وسبق به علمه وجرى بوضعه قدره ولم
يشاركه فى اختراعه له مشارك وجعل امر كل لاعب به من
الناس راجع اليه وعايد عليه ان غلب فباجتهاده وان غلب
فبتفريطه وان اللاعبين كليهما مع تفويض الامر اليهما فى الجد

والاجتهاد

٦٥

والاجتهاد والفكر والتدبر والاكتساب والتحيل لايخرجان في
جميع ذلك عما قضاه الواضع وقدره وشرعه لهما فهما
مجبوران في صورة متخارين ومختاران في صورة مجبورين اطلع
هذا الواضع على سر عزيز من اسرار قدر الله تعالى وعلم
ان الانسان كاسب غانم او معاقب وان الله لايظلم مثقال ذرة
ولكن الناس انفسهم يظلمون وان الله اراد من العباد ماهم
فاعلون له ولم يجبرهم ولو عصمهم ما خالفوه كما اراد الواضع من
مالهم لاعبونه ولم يجبرهم فمن احسن فلنفسه ومن اساء
فعليها ولم يخرج واحد منهما عما قدره من البيوت والقطع
وعددها ونقلها ولو اراد منهما غير ذلك ما خالفاه فافهم
هذا جيدا فالشطرنج مثال حكمي ووضع علمي يجلب به الراي
ويزداد به العقل ويلهى به عن الهم ويكشف عن مستور
الاخلاق ويحكي صورة الحرب ويبين مقدار حلاوة الظفر
بالخصم وبالنصر على العدو ومقدار مرارة القهر والخذلان
والشطرنج الكبير فيه من الزوايد جملان وزرافتان وطليعتان
ودبابتان ووزير واما الفرس فانهم امة قديمة من اقدم
امم العالم واشدهم قوة واسم ابيهم بالعربية فارس وباليونانية
يرشرور وبالفارسية يرمشرس وكانت لهم دولتان عظيمتان
طويلتان الاولى منهما الكيية وانما قيل لهم كيية لانهم كانوا يسمون
الملك منهم كي فلان ومعناه التنزيه اي مخلص متصل بالروحانيات
ويظهر من التواريخ ان مبداها ومبدا دولة التبابعة ملوك
العرب من حمير واحد وهذه الدولة الكيية هي التي غلب عليها
الاسكندر اليوناني والثانية الساسانية وهي معاصرة لدولة
الروم بالشام وهذه الثانية هي التي غلب عليها المسلمون
وكان الفرس في اول امرهم موحدين على دين نوح الى زمن

ظهورث ولهو اول من ذلل الخيل وركبها فاعتقد دين الصابين
وقهر الفرس على اتباعه وبقوا على هذا الدين نحو الف سنة
الى ان تمجسوا بسبب زرادشت وكان ظهوره ايام يستاسف
احد ملوكهم فجاء الى يستاسف وعرض عليه دينه فاعجبه
وحمل الناس على الدخول فيه وقتل من امتنع وجاء زرادشت
بكتاب ادعاه وحيا كتبه في اثني عشر الف جلد وسمي ذلك
الكتاب سناه ويد ور على ستين حرفا من حروف المعجم
وفسره زرادشت وسمي تفسيره زند ثم فسر التفسير
وسماه زنده ولهذه اللفظة هي التي عربتها العرب زنديق
وكان زرادشت يقول بالاهين اثنين يزدان واهرمن
اي النور والظلمة ويعبد النار وكان لهذا الكتاب ثلاثة
اقسام قسم في اخبار الامم الماضية وقسم في حدثان المستقبل
وقسم في نواميسهم وشرائعهم وجدد زرادشت بيوت
النيران وكان اخمدها منوشهر احد ملوكهم ورتب لهم
عيدين النيروز في الاعتدال الربيعي والمهرجان في الاعتدال
الخريفي ولما غلب الاسكندر الفرس الاولى احرق هذه
الكتب وبقوا على ذلك الى ايام سابور بن اردشير ظهر ماني
الحكيم بعد المسيح وكان ماني يقول موجد العالم اثنان النور
خالق الخير والظلمة خالق الشر واتبعه سابور قليلا ثم رجع
الى الماجوسية دين ابائه وفي ايام قباد من ملوك الفرس
ظهر مزدك وكان يقول باستباحة اموال الناس وانها
مشتركة بينهم وليس لواحد ملك شيء ولا تحجير عن غيره
والاشياء كلها من ملك الله لا يختص احد بشيء وفي
ايام ابرويز منهم وصلت جنود الفرس الى بيت المقدس
واخذوا اسقفها ومن معه وطالبوهم بخشبة الصليب

فاستخرجوها من الدفن وبعثوا بها الى ابرويز وفي ايام بوران
بنت ابرويز ردت خشبة الصليب الى الجاثليق وامة الفرس
هم اعدل الامم واوسطهم دارا بالنسبة الى هذه المعمورة ولهم
عناية بالطب واحكام النجوم ولهم ارصاد ومذاهب في حركاتها
واتفق العلماء على ان اصح المذاهب في الادوار مذهب الفرس
ومنهم واضع النرد جعله مثالا للدنيا واهلها فرتب الرقعة
اثني عشر بيتا بعدد شهور السنة وجعل القطع ثلاثين قطعة
بعدد ايام كل شهر وجعل الفصوص مثلا للقدر وتقلبه باهل
واما اليونانيون فهم امة عظيمة القدر وهم منسوبون الى
الى يونان وهو في التوراة ولد يافث بن نوح لصلبه واسمه فيها
يافان بفاء تقرب من الواو فعربته العرب الى يونان
وبلادهم رومة ايلي واناطولي وقرمان واخوانهم اللطينيون
مساكنهم بالمغرب منهم ومن اليونان الاسكندر الذي
قهر الملوك وغلبهم يقال انه استولى على خمسة وثلاثين
ملكا ومن اليونان الحكماء المشهورون مثل ارسطو وهو معلم
الاسكندر وكان مسكنه مدينة اسا وهو كبير حكماء الخليقة
غير منازع اخذ الحكمة عن افلاطون اليوناني كان يعلم
الحكمة وهو ماشي تحت الرواق المظلل له من حر الشمس
فسمي تلاميذه بالمشائين واخذ افلاطون عن سقراط ويعرف
سقراط الدن بسكناه في دن من الطين اتخذه وقتله
قومه لما نهاهم عن عبادة الاوثان وكان هو اخذ الحكمة
عن فيثاغورس منهم ويقال ان فيثاغورس اخذ عن تاليس
حكيم ملطية واخذ تاليس عن لقمان الحكيم المشهور ومن
حكماء اليونان ذي مقراطيس وانكساغوريش وارسطو هو
الذي ترجم كتب هرمس المثلث بالنعمة واخرجها من

اللسان المصرى الى اليونانى وشرح مافيهامن العلوم والحكمة
والطلسمات وكتاب الاسطاطيس يحتوى على فتح الحصون
والمدن بالطلسمات والحكم ومنها طلسمات لانزال المطر
وجلب المياه وكتاب الاسطيرطاش فى الاختيار على سير
القمر فى المنازل والاتصالات وكتب اخرى فى منافع وخواص
لاعضاء الحيوانات والاحجار والاشجار والحشايش ومنهم
نبد فيلس وكان فى عمر داوود النبى وكان علماء اليونان
يسمون فلاسفة الهيون ومعنى فلا بلغتهم المحب وسوف
العلم ثم معنى فيلسوف محب العلم ولهم تصانيف فى انواع
العلوم فهم ارفع الناس منزلة لما ظهر منهم من الاعتناء
الصحيح بفنون الحكمة من العلوم الرياضية والمنطقية والمعارف
الطبيعية وجميع العلوم العقلية ماخوذة عنهم ولهم الذين
اسسوها وفى دولة فلديغش من اليونانيين كانت ترجمة
التوراة من اللسان الرومى واللطينى على الصحيح وقيل
فى دولة فيلافادوس اى محب اخيه كانت ترجمة التوراة
وكتب الانبياء من السريانية الى اليونانية ولغة الاقدمين
من اليونان تسمى الاغريقية وهى من اوسع اللغات ولغة
المتاخرين تسمى اللطينى لان اليونان فرقتان اللطينيون
والاغريقيون واما الروم ولهم الكيتم اللطينيون فهم اخوان
يونان ونسبهم الى يافث بن علجان بن نوح وبلادهم
بالناحية الغربية من خليج القسطنطينية الى بلاد الافرنك
وملك هذه الامة قديم واول ملوكهم القش بن مشطرش
ابن ايوب وذلك فى اخر الالف الرابع من مبدء الخليفة ثم
اتصل الملك لابنه ولحافديه رومليش واملش ولهما اللذان اختطا
مدينة رومة وذلك لاربعة الاف وخمسمائة من مبدائه

الخليفة

الخليقة وسميت باسم بانيها وسمى اهلها الروم وكان الروم
صابية الى ان قام قسطنطين المظفر بدين المسيح وقهر الروم
على الدخول فيه فاطاعوه ولم يزل دين المسيح يقوى الى
ان دخل فيه جميع الامم المجاورة للروم وكان منهم حكماء وعلماء
بانواع الفلسفة وكثير من الناس يقول ان الفلاسفة
المشهورين روميون والصحيح انهم يونانيون ولتجاور
الامتين دخل بعضهم فى بعض واختلط خبرهم وكلا الامتين
مشهور العناية بالفلسفة الا ان لليونانيين من المزية
والتفضل ما لا ينكر ولغتهم مخالفة للغة اليونان وقيل لغة
اليونان الاغريقية ولغة الروم اللطينية ولهم قلم يعرف
بالساميا فى القديم ولا نظير له فان الحرف الواحد منه محيط
بالمعانى الكثيرة ويجمع عدة كلمات قال جالينوس فى بعض
كتبه كنت فى مجلس عام فتكلمت فى التشريح كلاما عاما
فلما كان بعد ايام لقينى صديق لى فقال لى ان فلانا يحفظ
عليك فى مجلسك انك تكلمت بكذا وكذا واعاد على الفاظى
فقلت من اين لك هذا فقال انى اعرف قلما يسبقك بالكتابة
فى كلامك وهذا القلم يتعلمه الخواص ويمنع منه سائر الناس
لجلالته واما الفرنج فهم من ولد يافث بن نوح كان يافث
ولد سبعة من الولد منهم ريغات ومنه الفرنج كما فى التوراة
ويقال لهم فرنسوس وقاعدة بلادهم افرنس بفتح الهمزة
وسكون الفاء اخت القاف وفتح الراء المهملة وسكون
النون بالسين المهملة ويقولون افرنك على وزن افرنس
وكان افرنس معرب من افرنك ويقولون من افرنج والكاف
والقاف والجيم يتعاقبون فى كلام العرب وملكهم يقال له
الفرنسيس وبلادهم بسائط على علاوة البحر الرومى من شماله

وجزيرة الاندلس من ورايهم فى الغرب تفصل بينهم وبينها
جبال متوعرة ذات مسالك ضيقة يسمونها البرت وسكان تلك
الجبال الجلالقة ولهم من شعوب الفرنك وكان الفرانسيس
استولوا من الجزاير البحرية على صقلية وقبرص وامريطش
وجنوة واستولوا على قطعة من بلاد الاندلس الى برشلونة
وعلى رومة وكان الفرنج ايضا ملكوا افريقية ونزلوا
امصارها العظيمة مثل سبيطله وجلولا ورباغية وليس وغيرها
من الامصار وغلبوا من كان بها من البربر وادوا اليهم الجباية
وعسكروا معهم فى حروبهم ولم يكن للروم فيها ولاية وانما
كان من كان منهم بافريقية جندا للفرنج ومن حشودهم
وكانوا ملكوا ما بين طنجة وطرابلس الغرب ومن الفرنج الملك
جرجير الذى قتله العرب اول دخولهم افريقية سنة ٢٧
من الهجرة وكان قاعدة ملكه سبيطله وهى قبلة القيروان
على مسافة يومين وكان الفرنج بافريقية يودون الى هرقل
ملك القسطنطينية لما كان الروم اغلب على الامم المجاورة لهم
من جميع الجهات الى ان كان الملك جرجير فخلع طاعة الروم
وضرب الدراهم والدنانير على صورته ولما دخل العرب افريقية
وقتلوا الملك جرجير صارا لتغلب للبربر على الفرنج واجتمع البربر
والفرنج على قتال العرب ومازالت الحرب سجالا بينهم الى سنة
اربع وثمانين انهزم البربر والفرنج هزيمة لم يقع لهم جمع بعدها
فمن كان من الفرنج قريب من البحر ركب الى الاندلس والى صقلية
والى سردانية من الافرنج الذين كانوا بافريقية ومن كان
بعيدا من البحر اختلط مع البربر وصار واجملة واحدة وفى
جبل اوراس كثير من الفرنج ومن تامل الان سكان جبل اوراس
فرق بين البربر والفرنج ثم اشتغل العرب بحرب الفرنج فى الاندلس

والجزاير

والجزاير ايام عبد الرحمان الداخل الاموى وبنيه بالاندلس
وعبد الله الشيعى وبنيه بافريقية وملكوا عليهم جزاير
البحر الرومى الى ان فشل ريح الدولتين وضعف ملك العرب
فاسترجعوا ما اخذه العرب واستعجل ملك افرانسا بعد
القياصرة الاولى وصاروا لا يدانيهم احد من ملوك العجم
والعرب وخضعت لهم الامم وكثرت عندهم العلوم والمعارف
وتنافسوا فى اكتساب الفضائل فلم يبق لليونان والروم ذكر
فى هذا الزمان وصار اهل افرنس قدوة لجميع الناس فى العلوم
والعرفان لا سيما فى عقد الستين بعد المائتين والالف قد
جمعوا علوم جميع الامم من العرب والعجم حتى صاروا كما قيل الصيد
كله فى جوف الفرا وتمم الله عليهم النعمة بسلطنة الملك العادل
اعلا الملوك همة وابعدهم صيتا واندا هم يدا واطولهم سيفا
واشفقهم على عباد الله واحبهم الى الخلق من العرب والعجم
وما هو الا كما قيل ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم فى
واحد ذاك الملك المؤيد المظفر نابليون الثالث فانه جمع
كلمتهم بعد الشتات واحياهم بعد ان كادوا يصيرون من
جملة الاموات ووصل حبلهم بعد البتات وانامهم فى مهد
الامان بعد ما كانوا لا ينامون فى بيوتهم من العدوات
واشاد لهم ذكرا وان لم يكونوا خاملين اذ بعض الذكر انبه
من البعض عند العاقلين وربحوا فى يومه ما لم يربحوا فى
سنة غيره من الملوك فله المنة العظمى على الناس ولكن
لا يشكر النعمة الا الاكياس نسئل الله ونرجوه ان يجمع له
بين خيرى الدنيا والاخرة، وان يكون له اول الامر وآخره
واما العرب فهم من ولد سام بن نوح وهم الامة الراحلة حاله
اهل الخيام لسكناهم والخيل لركوبهم والانعام لكسبهم

يقومون عليها ويقتاتون البانها ويتخذون اللباس والاثاث
من اوبارها واشعارها ويحملون اثقالهم على ظهورها
ويبتغون الرزق في غالب احوالهم من الصيد وقطع الطرق
والغارات على من جاورهم من الامم ومساكنهم مابين البحر
المحيط من المغرب الى اقصى اليمن والهند من المشرق وما
بين ذلك كمصر وصحارى برقه وافريقية والزاب والمغرب
الاقصى والسوس فما انتقلوا في المائة الخامسة وكانت لهم
دولة عظيمة واثار كريمة وصل ملكهم الى طنجة من المغرب
والى سمرقند من المشرق في الجاهلية وكانوا في الجاهلية اصنافا
صنف اعترف بالخالق وانكروا البعث وصنف عبدوا الاصنام
وصنف عبدوا الملايكة وكان منهم من يميل الى اليهودية
ومنهم من يميل الى النصرانية ومنهم من يميل الى الصابية
وكانت بقت عندهم بقايا من دين اسماعيل بن ابراهيم
الخليل فكانوا لا ينكحون الامهات ولا البنات ولا الاخوات
ولا يجمعون بين الاختين وكانوا يحجون البيت ويغتسلون
من الجنابة ويداومون على المضمضة والاستنشاق والسواك
والاستنجاء ونتف الابط وحلق العانة والختان ويقطعون
يد السارق ويعطون دية المقتول ماية من الابل ويطلقون
وتعتد المراة التي مات زوجها سنة وكانت علومهم علم
الانساب والنجوم وتعبير الرؤيا ونظم الاشعار والخطب
وليس يصل الى احد خبر من اهل المشرق والمغرب الا بالعرب
وذلك ان من سكنوا مكة احاطوا باخبار اهل الكتابين
التوراة والانجيل ومن سكن الحيوة علم اخبار اهل فارس
ومن سكن الشام عرف اخبار الروم واليونان وبني اسرائيل
ومن سكن البحرين علم اخبار الهند والسند وكانوا يفتخرون

بالبيات

بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والوفاء بالعهد واكرام
الضيو وعلو الهمة روى عن شبيب بن شيبة قال كنا في
مجلس عظيم فورد علينا ابن المقفع وكان من اشراف الفرس
وحكمايهم فقال لنا من اعقل الامم فنظر بعضنا الى بعض
وقلنا لعله يميل الى اصله فقلنا الفرس قال ليسوا هناك ملكوا
كثيرا من الارض وحووا عظيما من الملك فما استنبطوا بعقولهم
شيئا فقلنا الروم فقال اصحاب صنعة فقلنا الصين فقال
اصحاب طرافة فقلنا الهند فقال اصحاب فلسفة فقلنا
السودان فقال اشر خلق الله فقلنا الترك فقال كلاب
مختلسة فقلنا الخزر فقال نعم سايمة فقلنا فمن قال العرب
قال فضحكنا فقال ما اردت موافقتكم ولكن اذا فاتني حظي
من النسب فلا يفوتني حظي من المعرفة ان العرب حكت على
غير مثال يجود احدهم بقوته ويتفضل بمجهوده ويشارك
في ميسوره ومعسوره ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة
ويفعله فيصير حجة ويحسن ما شاء فيحسن ويقبح ما شاء
فيقبح رفعتهم عقولهم وعزتهم هممهم حتى نالوا الكرم الفخر
وبلغوا الشرف الذكر فلما شرفهم الله بالرسول محمد بن
عبد الله صلى الله عليه وسلم ولهم على هذه الاخلاق
الجميلة والفضائل الجليلة تنافسوا في زيادة الفضائل وتسابقوا
الى نيل العلوم والمعارف فاكتسبوا منها ما لم يكتسبه الاوايل
واثروا الاثار العظيمة في اقرب مدة من نباء المداين وعمل القناطير
وفتح الخلجان فقد اجرى موسى بن نصير البحر اثني عشر ميلا
الى دار الصناعة بتونس وصنع ماية مركب وغزى صقلية
واخذها ووصل عمرو بن العاصي بين النيل وبحر القلزم في مدة
سنة وجرت فيه السفن من خلافة عمر بن الخطاب الى بعد

خلافة عمر بن عبد العزيز احتفره من الخليج الذى فى ناحية
الفسطاط يقال له خليج امير المؤمنين وساقه الى القلزم ثم ضيعه
الولاة وترك وغلب عليه الرمل وانقطع وصار منتهاه الى ذنب
التمساح وتيسر لهم من التصنيف فى انواع العلوم مالم يتيسر
لاحد قبلهم حتى ان منهم من بلغت تصانيفه فى انواع العلوم
ثلاثة الالف مصنف وزيادة يحكى ان خزانة الكتب بمصر
فى دولة العبيديين بلغت الفى الف مصنف وستمائة الف
مصنف وفى بعض التصانيف مائة مجلد الى ثلاثمائة مجلد
كتفسير الرازى وغيره وبلغ ملكهم حيث لم يبلغ ملك امة
قبلهم من آدم الى الان ثم بدا فيهم النقص وغير الله بهم حيث
غيروا بانفسهم شان الامم وكل شيئ بلغ الحد انتهى اذا تم شيئ
بدا نقصه فحاذر زوالا اذا قيل تم واما العبرانيون وهم بنوا
اسرائل عنصر الانبياء فكانت عنايتهم بعلوم الشرايع وسير
الانبياء فكان علماؤهم اعلم الناس باخبار الانبياء وبدا الخليفة
لكنهم لم يشتهروا بعلم الفلسفة واما اهل مصر فهم اخلاط
من الامم الا ان اكثرهم قبط وانما اختلطوا لكثرة من تداول
ملك مصر من الامم كالعمالقة واليونان والروم فانتسبوا الى
موضعهم فكانوا فى القديم صابية ثم تنصروا الى وقت الاسلام
وكان لقدمائهم عناية بانواع العلوم ومنهم هرمس كان قبل
الطوفان وكان بعده علماء بضروب الفلسفة وعلم الطلسمات
والمرايا المحرقة والكيميا وكانت دار العلم بها مدينة منف
فلما بنى الاسكندر مدينة رغب الناس فى عمارتها فكانت دار
العلم والحكمة الى الفتح الاسلامى والسبب الظاهر بحسب
العادة التى اجراها الله تعالى وبما دل عليه الاستقراء فى اختلاف
الناس فى عقولهم واخلاقهم ومعارفهم احوال الشمس فى الحركة

فان

٧٠

فان الناس على ثلاثة اقسام معتبرة وفي كل قسم اقسام متقاربة
احدها الذين يسكنون تحت خط الاستواء الى ما يقرب من
المواضع التي يحاذيها ممر راس السرطان وهؤلاء اضعف الناس
عقلا واوحشهم اخلاقا وابعدهم عن المعارف العقلية والكمالات
الانسانية واما الذين مساكنهم اقرب الى محاذات ممر راس
السرطان فعقولهم اكمل من الذين قبلهم وطبايعهم معتدلة
واخلاقهم مؤنسة كالهند واليمن وبلاد العرب كلها وبعض
المقاربة واما القسم الثاني فهم الذين يسكنون على راس
ممر السرطان الى محاذات بنات نعش الكبرى وهم سكان
وسط المعمورة من هذه الارض فهم اكمل الناس عقلا والطفهم
اذهانا كاهل العراق والشام وخراسان واصبهان وهم
مختلفون في الكمال واكملهم عقلا واكثرهم قبولا للمعارف
سكان الموضع المعروف بايران شهر ويليهم في الكمال سكان
افرنس فانهم وسط الاقليم الخامس ويليهم في الكمال اهل
الاندلس فان بلادهم اخذت من الاقليم الخامس والسادس
واما القسم الثالث من سكان الارض فهم الذين مساكنهم
محاذية لبنات نعش وهم الروس والصقالبة فعقولهم
ناقصة واخلاقهم وحشية واذهانهم باردة بعيدة عن قبول الكمال
وهم متفاوتون في النقصان فبعضهم انقص من بعض والكمال الحقيقي
لله تعالى وحده وكل كمال اذا نسب اليه تعالى فهو نقص انتهى
والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا وكان الفراغ من تبييض هذه العالجة
اللطيفة والتذكرة الشريفة الموسومة في براعة استهلالها بتذكرة
العاقل وتنبيه الغافل تقييد المولى الناصر والغضنفر الكاسر الجامع بين
العلم والجهاد وذلك صبح يوم الجمعة في ١٨ شهر ربيع اول خلت منه اثنا
عشر يوما سنة ١٤٠٥ من الهجرة النبوية والحمد لله رب العالمين تم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم .

خطبة الامام على رضى الله تعالى عنه وارضاه وكرم وجهه
ونفعنا بمحبته امين ، روى انه جلس يوما مع جماعة من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يتذاكرون
الحروف فاجمعوا ان الالف اكثر دخولا فى غيرها فى الكلام
فقام سيدنا على رضى الله عنه فخطب على البديهية فقال
حمدت وعظمت من عظمت منته ، وسبقت نعمته ، وسبقت
غضبه رحمته ، وتمت كلمته ، ونفذت مشيئته ، وبلغت
قضيته ، حمد مقر بربوبيته ، متصل من خطيئته ، معترف
بتوحيده وبحديثه ، مؤمل منه مغفرة تنجيه يوم يشغل كل
عن فضيلته وبنيه ، وشهدت له تشهد مخلص موقن ، وعظمته
تعظيم عبد مؤمن ، ووحدته بتوحيد معترف مذعن ، ليس
له شريك فى ملكه ، ولم يكن له ولى فى صنعه ، جل عن مشير ،
ووزير ، وعين ونظير ، علم فستر ، وملك فقهر ، وعصى فغفر ،
وحكم فعدل ، وسئل فبذل ، وبعد له جميع خلقه شمل ، ليس
كمثله شيئ ، وهو قبل كل شيئ ، وبعد كل شيئ ، منفرد بعزه ،
متمكن بقوته ، متقدس بعلوه ، متنزه بسموه ، ليس يدركه بصر
ولا يحيطنه نظر ، قوى منيع بصير ، سميع مقتدر ، بديع عليم
كريم ، رؤف رحيم ، عجز عن وصفه من يصفه ، وضل عن
نعته من يعرفه ، يجيب دعوة من يدعوه ، ويرزقه ويحبوه ،
ذو لطف خفى ، وبطش قوى ، رحمته موسعة ، وعقوبته
موجعة ، وشهدت ببعث محمد عبده ورسوله ونبيه —
وحبيبه وخليله وصفيه صلى الله عليه وسلم صلاة تحظيه

وتزلفه وتعليه، وتقربه وتدنيه، بعثه في شدة وعسره
وفترة وكفر، ورحمة لعبيده، ومنة لمزيده، ختم به نبوته
ووضح به حجته، فوعظ ونصح، وبلغ وكرم، فعليه رحمة وتسليم
وبركة، وتكريم، من رب عفور رحيم، ووصيتكم جميع من
حضرني بوصية ربكم، وذكرتكم بسنة نبيكم، فعليكم برهبة
تسكن قلوبكم، وخشية تزري دموكم، وتقيكم وتنجيكم قبل يوم
يذهلكم ويبدكم يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته، وخف
وزن سيئته، ولتكن مسئلتكم مسئلة ذل وخضوع، وشكر
وخشوع، وتوبة ونزوع، وندم ورجوع، وليغتنم كل منكم
صحته قبل سقمه، وشيبته قبل هرمه، وتفرغه قبل مشغلته
ويسره قبل عسرته، وحضوره قبل سفرته، من قبل كبر يضعفه
وهرم يدنفه، ورعب يؤلمه، ومرض يسقمه، فيمله طبيبه
ويعرض عنه حبيبه، وينقطع عنه فعله، ويتغير عقله، قبل
قولهم هو مرعوك، وجسمه منهوك، قبل جده في نزع شديد
وحضور كل قريب وبعيد، قبل شخوص بصره، وطموح نظره،
ورشح جبينه، وخطف عرينه، وسكون منيته، فجذبت نفسه
وحفر رمسه، ونكت عرسه، ويتم ولده، وتفرق عنه عدده،
وقسم جمعه، وذهب بصره وسمعه، ولقن ومدد، ووجه
وجرد، وغسل وعري، ونشف وسجي، وهين ونشر عليه
كفنه، وشد منه ذقنه، وحمل فوق سريره، وصلي عليه بتكبير
ونقل من دور فخره، وقصور مشيده، فجعل في ضريح ملحود ضيق
موصود، مسقفا بجلمود، وهيل عليه عفره، وحثي عليه مدره
وتحقق حذره، ونسي خبره، ورجع عنه وليه وشقيقه، وصفيه
وشفيقه، ونسيبه وقريبه، ونديمه وحبيبه، فهو حشو قبر
ورهين نفر، يدب في جسمه دود قبره، ويسيل صديده،

على صدره ونحره بسحق تراب لحمه، وينشف دمه، ويرم عظمه
حتى ينفخ في صوره، ويحي لنشوره، فثم بعثرة قبوره، وحصلت سريرة
صدوره وجئ بكل نبي وصديق، وشهيد ونطيق، وقعد للمفصل
مدبر بعبيده خبير بصير في موقف مهيل، ومشهد جليل، بين يديه
وهو عظيم، بكل صغيرة وكبيرة عليم، فيلجمه عرقه، ويحوزه قلقه
ونشر صحيفته، وتبين جريدته، وشهدت عينه بنظرته، ويده
ببطشته، ورجله بخطوته، وفرجه بلمسه، وجلده بمسه، ويهدد
منكر ونكير، وكشف له حيث يصير، فسلسل جيده، وضيق وريده
وغل ملكه يده، وسيق بسحب وحده، فورد جهنم في كرب وشدة وظل
يعذب بجحيم وتضربه زبنية من حديد، ويعود جلده بعد نضجه
لجلد جديد، يستغيث فتعرض عنه خزنة جهنم، ويستصرخ
فلم يكلم، ندم حيث لم ينفعه ندمه، وتحسر حين زلت به قدمه
فنعوذ برب قدير من شر كل مصير، ونسئله عفو من رضي عنه
ومغفرة من قبل منه، فهو ولي مسئلتي، ومنجح طلبتي، فمن زحزح
عن تعذيب ربه، جعل في جنة قربه، وخلد في قصور مشيدة،
وملك حور وعين وحفدة، وطيف عليه بكؤس، وسكن حضرة
فردوس ولبس خير ملبوس، وتقلب في نعيم، وسقي من تسنيم،
وشرب من عين سلسبيل، قد مزج بزنجبيل، وختم بمسك مستديم
ملك مستشعر سرور يشرب من خمور ليست تترق، وليست تغور فهي
منزلة من خشي ربه، وحذر قلبه، وتلك عقوبة من لم يطع منشئه
وسولت له نفسه معصيته، لهو قول فصل، وحكم عدل قصص قص،
ووعظ نص، تنزيل من حميد حكيم، نزل به روح قدسي من عند رب كريم
على نبي مهتد مهدي، ورسول سيد زكي، صلت عليه رسل سفرة مكرمون
بررة، ونعوذ برب علي حكيم، من شر عدو لعين رجيم، ونتضرع متضرعكم
بتهل مبتهلكم، ونستغفر رب كل مربوب لي ولكم، انتهت الخطبة المباركة

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله
وصحبه،
امسعود جاء السعود والخير واليسر
وولت جيوش النحس ليس لها ذكر
ليالي صدود وانقطاع وجفوة
وهجران سادات ولا ذكر الهجر
ليال نهارها قتام ودجنة
وليلها لا نجم يضي ولا بدر
ليال فيها الفراش بالهم قد حشى
فلا التذلي جئت ولا التذلي ظهر
ليال اقول والفواد متيم
ونار الجوى وقودها ما حوى الصدر
امولاي طال الهجر وانقطع الصبر
امولاي هذا الليل هل بعده فجره
اسائل من لقيت هل من مخبر
يحدثني عنكم فينعشني الخبر
الى ان نادتني همة الشيخ من هدى
بعيد تعال عندنا فلك الخير
فشمرت عن ذيلي الازار وطار بي
جناح اشتياق ليس يخشى له كسر
وما بعدت تهامة عن متيم
ولا انثنا عن حب حجاز ولا غور
الى ان انخنا بالبطاح ركابنا
وحطت رحالها وتم لنا السفر
بطاح بها البيت المعظم قبلة

فلا فخر الا فوقه ذلك الفخر
بطاح بها الصيد الحلال محرم
ومن حلها فليس له وزر
اتاني مربي العارفين بنفسه
ولا عجب فالشان فيه له امر
وقال لي اني مذكرا كذا حجة
لمنتظر وانتم الان لم تدر
فاقت بني مذ الست بربكم
وذا وقت ما تضمن اللوح والسطر
فجدك قد اعطاك حينئذ لنا
ذخيرتكم هنا ويا حبذا ذخر
فقبلت من اقدامه وبساطه
فقال لك البشرى فقد قضي الامر
والقى على صفري من اكسير سره
فصار يقال فيه ذا ذهب تبر
خ فصار بعد انه ذهب تبر
واعني بهذا شيخي بل شيخ كل من
له همة بعذبة وله الصدر
عياذي ملاذي عمدتي ثم عدتي
وكهفي اذا ما ابدى انيابه الدهر
ومنقذي من ايدي الردى ومخلصي
ولات حين النجاه اذ عمني غمر
ومحي رفاتي بعد ان كنت رمة
واكسبني عمرا العمري وهو العمر
محمد الفاسي له من محمد
رسول الاله الحال والشيم الغر

٧٦

ميراث بتعصيب وفرض كليهما
هو البدر بين الاوليا وهم الزهر
ويكفيك شاهدا شمائله التى
كانها روض شق اكمامه القطر
تضوع طيبا كل زهر بنشره
فما المسك ما الكافور ما الند ما العطر
وما جود حاتم وما حلم احنف
وما زهد الهمى الامام وما صبر
صفوح سموح يقضى عن كل زلة
وتقضى مهابة له الاسد والنمر
هشوش بشوش بلغى بالرحب قاصدا
وعن مثل حب المزن دايما يفتر
فلا غضب وحدة تستفزه
صفاته عن اوج الكمال ما تزور
لنا منه صدر ما تكدره الدلا
ووجه طليق لا يزال له البشر
ذليل لاهل الفقر لا عن مهانة
عزيز ولاتيه لديه ولا كبر
وما زهرة الدنيا لديه بشى لا
ولا لهايوما فى مجالسه نشر
حريص على هداية الخلق جاهدا
رحيم بهم كانه الوالد البر
كساه رسول الله ثوب خلافة
له الحكم والتصريف والنفع والضر
وقيل له ان شئت قل قدمى على

،على كل عارف احاط به العصر،
،وذلك فضل الله يوتيه من يشا،
،فما على فضل الله حضر ولا حجر،
،هذا وابيك الفجر لا فجر من غدا،
،وقد ملك الدنيا وساعده النصر،
،فها كذا ها كذا الكمال والالا،
،فمن يدعى الكمال هذا هو البر،
،ابو حسن لو قد راه احبه،
،وقال له انت الخليفة لا غير،
،وما كل مدعى الخلافة صادق،
،اذا سيق للمسبار بان له الخسر،
،وعندما ينجلى الغبا تبدا من،
،على ظهر اجرد ومن تحته عير،
،وما كل راكب الجواد بفارس،
،اذا حمى الوطيس والجو معبر،
،فيحمى الذمار يوم لاذو حفيظة،
،بحام وكل شجعان الحى قد فروا،
،ونادى ضعيف الحى من ذا يغيثنى،
،فاننى فى ايدى العدى فى يدى اسر،
،وما كل سيف ذو العقار فى حده،
،وما كل فارس على اذا كروا،
،وما كل طير طار فى الجو فاتك،
،فلا طير صارخ اذا اصرصر الصقر،
،وما كل من تسمى بالشيخ هو ذا،
،وما كل من يدعى بعمر اذا عمر،

فهذا

فهذا مثل المدعين ومن يكن
على قدم صدق طبيب اله خبر
فلا شيخ الامن يخلص لها السكا
غريقا غدا وقد احاط به المكر
ولا تسئلن عن المشايخ غير من
له خبرة بالامر ما هو مغتر
تصفح احوال الرجال مجربا
ففى كل منهل ومصر له امر
فنعم البلاد ربت الشيخ يافعا
وخير البلاد طار منها اله ذكر
فمكة خير بلدة خير بقعة
وما طاولتها الشمس يوما ولا النسر
بها كعبتان كعبة طاف حولها
حجيج وان ذاك عندهم الظفر
وكعبة حجاج الجناب الذى سما
وجل فلا ركن لديه ولا حجر
وشتان ما بين الحجيجين عندنا
فهذا له ملك وذاك له اجر
عجبت لباغى السير للجانب الذى
تقدس كيف لا يجد به السير
اليه ويلقى نفسه بفنائه
بصدق يتساوى عند الجهر والسر
فيلقى مناخ الجود والفضل واسعا
ويلقى فراتا طاب ورده والصدر
ويلقى رياضا ازهرت بمعارف

فيا حبذا المرای و یا حبذا الزهر
ویلحق جنانا فوق فردوسها العلی
وما الجنان الخلد ان عبقت نشر
فیشرب کاسا صرفة من مدامه
فیا حبذا کاس و یا حبذا خمر
فلا غول فیها لا و لا عنها ترفة
ولیس بها برد ولیس بها حر
ولا هو بعد المزج اصفر فاقع
ولا هو قبل المزج قانی محمر
معتقه من قبل کسری مصونة
وما ضمها دن و لا نالها عصر
ولا شانها زق ولا حرا حادی
باحمالها و لا تملکها التجر
فلو رات الاملاك ختم انائها
تخلت عن الاملاك طوعا ولا قهر
ولو شمت الاعلام فی الدرس ریحها
لما طاشوا عن صوب الصواب وما اغتروا
فیا بعدلهم عما لهم قعد واله
فقصدهم قصد و سیرهم زور
هی العلم کل العلم والمرکز الذی
به کل علم کل حین له دور
فلا عالم الا خبیر بشربها
ولا جاهل الا جهول بها غر
و لا غبن فی الدنیا ولا هو مغبون
سوی رجل من شربها حظه نزر

ولا

ولاخسر في الدنيا ولاهو خاسر
سوى من غدا والكف من كاسها صفر
اذا زمزم الحادي بذكر صفاتها
وصرح ما كنى لا خوف ولا حذر
وقال اسقني خمرا وقل لي هي الخمر
ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر
وصرح بمن تهوى ودعني من الكنا
فلا خير في اللذات من دونها ستر
ترى الذائقين منها هامت عقولهم
ونازلهم بسط وخامرهم سكر
وتاهوا فلم يدروا من التيه من هم
وشمس الضحى من تحت اقدامهم عفر
وقالوا من الذي له الملك غيرنا
فنحن الملوك لا سودان ولا حمر
تميد بهم اقداحهم قد تولهوا
فما لهم عرف ولا لهم ذكر
حيارى فلا يدرون اين توجهوا
فما لهم ذكر وما لهم فكر
فيطربهم برق تالف بالحما
ويرقصهم رعد بسلع له زار
ويسكرهم نسيم نجد اذا سرى
تظن بهم سحرا وما بهم سحر
وتبكيهم ورق الحمائم بالدجا
اذا ما بكت من ليس يدري له وكر
تجاوب تلك هذه بتحزن

تذوب له الاكباد والجلمد الصخر
وتسبيهم غزلان رامه ان بدت
واحداقها نبل واجيادها سمر
وفي شم ريحها بذلنا نفوسنا
فهانت وهان كل شيء له قدر
وملنا عن الاوطان والاهل جملة
فلا قاصرات الطرف عنت ولا قصر
ولا عن اصحاب الذوائب غلمات
ملاعبهم مني الترائب والنحر
هجرنا لها الاحباب والصحب كلهم
فما عاقنا زيد ولا راقنا بكر
ولا ردنا عنها العوادي ولا العدا
ولا هالنا فقر ولا راعنا بحر
وفيها حلا لي الذل من بعد عزتي
فيا حبذا ولو في اوله مر
وذلك من فضل الاله ومنه
على فما للفضل عد ولا حصر
وقد انعم الوهاب فضلا بشربها
فلله حمد دايم وله الشكر
فقل للملوك شانكم وما رمتم
فقسمتكم ضيزى وقسمتنا كثر
خذ الدنيا والاخرى يا باغيهما معا
وهات لنا كاسا نعم ولنا الوفر
جزى الله عنا شيخنا خير ما جزى
به هاديا فالاجر منه هو الاجر

امولاي

امولاى انى مولى نعائك التى
بهاصح لى الغنا وفارقنى الفقر
وصرت مليكا بعد ما كنت سوقة
وساعدنى سعد فخصبا ؤناذ ر
امولاى انى عبد بابك واقف
لفيضك محتاج لجدواك مضطر
فمرنى كما يكون للعبد من مولى
انا العبد ذاك العبد لا الخادم الحر
لهنيئا لنا يا معشر الصحب اننا
الناحص امن ليس يطرقه ذعر
فنحن فى ضوء الشمس والغير فى دجا
فى اعينهم عمى فى اذانهم وقر
ولا غرو فى هذا فقد قال ربنا
ترا هم ينظرون ليس لهم بصر
ونجم السما مهما سما هان امره
فليس يرى الا لمن ساعد القدر
الا فاعملوا اشكرا لمن جاد بالذى
هدانا ومن نعمائه عمنا بر
وصلوا على خير الورى خير مرسل
وروح هدات الخلق مذ وهم ذر
عليه صلاة الله ما قال قائل
امسعود جاء السعد والخير واليسر

انتهت القصيدة المباركة المنسوبة للجامع بين
العلم والجهاد الشريف الامير سيدى عبد

القادر بن سيدى محى الدين المغربى التى
انشدها فى الحرمين المباركين لما
كان مجاورا سنة ١٢٨٠
الف ومائتين وثمانون
من الهجرة النبوية
على صاحبها
افضل الصلاة
وازكى
التحية
هـ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا
ومولانا محمد وآله وصحبه

هذه القصيدة الهمزية الوبائية للامام العالم العلامة
القطب الناصح شيخ الجماعة البوصيرى رحمه الله تعالى

صلّ يارب ثم سلم على من ، هو للخلق رحمة وشفاء
وعلى آله وصحبه طرًّا ، ما تزينت بالنجوم السماء
يا رحيمًا بالمؤمنين اذا ما ، ذهلت عن ابنائها الرحماء
يا رؤوفا بالمسلمين اعذنا ، من بلائك اننا ضعفاء
يا لطيفا بعبده ليس يحكي ، لطفه الرحماء واللطفاء
يا حليما على العباد فلولا ، ذلك الحلم بالعقوبة باءوا
انت ذو العز والجلال القديم ، فلك الملك والغنا والبقاء
لك بالرحمة التى عمت الخلق على عرشك العظيم استواء

لاتكلنا

لاتكلنا الى سواك فانا ، من سواك وان علا برآء
ان تكلنا الى سواك تكلنا ، لضياع به يحق الشفاء
قد لجانا اليك من كل شر ، والهم الشرور لهذا الوباء
طهر الارض ارض الاسلام منه ، باد منه رجالهم والنساء
واجزه الى النصارى سريعا ، كى يكون بالمشركين الفداء
اذهب الباس مالك الناس عنا ، واشفنا عاجلا فمنك الشفاء
قد مددنا اليك كف اضطرار ، عظم الخطب واستمر البلاء
وتلاشت عنا الوسائط الا ، فضل من لايغيض منه العطاء
ارحم الرحمين ذو العفو والاحسان منه العطا ومنا الدعاء
ما ناديه يا الاهى لخطب ، وبلاء الا اجيب النداء
كل ماقلت يا الاهى اغثنى ، حصل المرتجى وزال العناء
فلى العيب كله وهو وصفى ، ولك الحمد كله والثناء
لست تحرم سائليك وتعطى ، دون سؤل وفى يديك الغناء
غطنا برداء عافية منـك فنعم الرداء ذلك الرداء
تنسخ السقم والوباء بها عـنا كما ينسخ الظلام الضياء
والشفيع اليك فينا سوى من ، لشفاعته رجا الشفعاء
احمد المصطفى امام البرايا ، من يلوذ بجاهه الانبياء
الرسول الكريم والطيب الطا ، هر والمقتدى به الاتقياء
رحمة الله نعمة الله هاد ، مهتد للهدى به الاهتداء
ذو المقام المحمود والشفيع المشـفوع فى الجمع فى يديه اللواء
غوث من لا له مغيث وملجا ، خائف عند ما يعز اللجاء
اول الخلق اخر الرسل تاج الـملك من خضعت له العظماء
صاحب السر والنجيب الذى كا ، ن به لاهله الاسراء
البشير النذير من بشرت قد ، ما به الانبياء والحكماء
الرؤف الرحيم والحامد المحـمود من كملت به السراء

خ: مات

لم يقل قط لا لسائل فضلا ، خير من دفعت به الضراء
فيه يحتمي المسيء ويرجوا ، فضله المحسنون والابرياء
قد دخلنا حماه وهو حصين ، لا يحوم بقربه الاسواء
فاحمنا يا محمداه فانا ، في حماك واننا فقراء
قد احاط بنا الوباء ولاكن ، سور مدحك جنة ووقاء
وقديما لنا عوايد خير ، من مديحك ما لهن انقضاء
ولكم شدة مدحتك فيها ، فتعود بذاك وهي رخاء
ولكم فرحة بمدحك عادت ، فرحة لا تشوبها اللاواء
ولكم كربة بمدحك زالت ، بعد ما استحكمت وعاد الهناء
فاجرنا بك استجرنا وادفع ، ما لنا بسوى حماك احتماء
كاد يفني الوباء امتك العو ، ث وقد هلكت وعم الفناء
انت نعم الشفيع فاشفع تشفع ، لك من ربك المنا والرضاء
فادرك امة وان ساء فعلا ، فعلها فلها اليك انتماء
نحن امتك العصاة فمن ير ، جون غيرك شافعا ان اساء
فالى من سواك تتركنا يا ، من له الجود شيمة والحياء
ان ربك مرضي لك فينا ، ان شفعت وفاعل ما تشاء
نحن بالذنب قد جفونا وحاشا ، ان يكون الجزاء منك الجفاء
انت عودتنا السماح فاحسن ، ليس الا الاحسان منك الجزاء
قد سمعنا الاله قال تعالى ، لك في سورة بها الشعراء
بعد انذر فان عصوك فقل ، اني مما فعلتم لبراء
لم يبح لك ان تبراء منا ، مع عصياننا فزاد الرجاء
اشفعن لمنشي المدح عبد ، مسرف وله اليك التجاء
ماله ملجا سواك فلا علم ولا عمل به يستضاء
قد سمعنا فيما روينا صحيحا ، عنك اسنده لنا الامناء
كتب الحق عنده في كتاب ، سابق قبل ان تكون السماء

سبقت

سبقت رحمتي بكم غضبي والسكت معناه في الحديث القضاءُ
فلذاك انبسطت في القول حتى ، لم ابال بما يرى الادباءُ
لو تادبت واختصرت كلامي ، كان يكفي التعريض والايماءُ
يبدأ ان الصريخ بحس منه ، ان يكون صياحه والبكاءُ
الغياث الغياث يالطف ربي ، كاد لولاك ان يهدّ البناءُ
وعلى المصطفى الكريم صلاةٌ ، ما لها دون ما استحق انتهاءُ
وسلامٌ مباركٌ طيب ما ، انشدت فيه مدحةٌ وثناءُ
وعلى صحبه الكرام وآلٍ ، فهمُ الوزراءُ والنقباءُ
وعلى كل من تلاهم بخيرٍ ، ولهم العلماءُ والاولياءُ
وعلينا بجاههم رحمة الله يكون بها علينا غطاءُ
فبهم نستجيرُ والجارُ يحمى ، جارهُ ولهم علينا الولاءُ
رب جد واعف وارحم واختم بخيرٍ ، فلك الحمدُ والثنا والسناءُ والبهاءُ

تمت الهمزية الوبائية
بحمد الله وحسن عونه

الحمد لله وحده هذه الابيات للامام الشافعي رحمه الله تعالى انه قال وقع وباء في مصر فخفت منه فوقف على رجل في المنام وعلمني الابيات

ليس غير الله شيئ ابدا ، جل ربي عن مقامات السقوط
قل هو الرحمان امنا به ، وعبدناه على وفق الشروط
يا رافع العرش يا ماسك السما ، زحزح الاعداء عنا بالهبوط
نجنا من كيدهم يا ذا العلا ، مثل ما نجيت قدمًا آل لوط
فرجائي فيك اضحى ثابتًا ، ولك الحمد ولا عندي قنوط
وصل يا رب وسلم ابدا ، على الذي رهطه افضل الرهوط

ثم سكت عني فقلت له من انت فقال اخوك ابو العباس الخضر عليه السلام فقراتها فنجني الله واهلي من الوباء انتهى

على يد كاتبه افقر الورى وخادم العلما
الفقير اليه تعالى محمد سليم بن يس
المكنى بابي الفتح الجبوري
غفر له امين